درر من كتابات السلف

(١)

كتاب التوحيد

تأليف

العلامة الحافظ

ابن رجب الحنبلي

تحقيق

صبري بن سلامة شاهين

دار القاسم للنشر

الرياض ١١٤٤٢ ص.ب ٦٣٧٣

☎ ٤٧٧٥٣١١ فاكس ٤٧٧٤٤٣٢

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي تعالى عن الشريك والمثل والكفىء والنديد، صاحب العرش المجيد، والعز التليد، ذي البطش الشديد، الفعال لما يريد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له: كلمة من أجلها خلقت الخليقة، وأنشئت الجنة والنار، وانقسم الناس إلى شقي وسعيد، وأشهد أن محمداً - ﷺ - عبده ورسوله وحبيبه المبعوث للإنس والجن من أحرار وعبيد، ليخرجهم الله به من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، والذي قطع الله به كل حبائل الكفر والابتداع والتقليد، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد بن عبدالله خير من دعا إلى التوحيد، ونصح للقريب والبعيد، وعلى آله وصحبه المقتفين أثره في القرى والبيد، وعلى أهل العلم العدول، النافين عن الدين تحريف كل غالٍ عنيد، وانتحال كل مبطل مريد.

أما بعد:

قال الله - تعالى -: **﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾**. [الأنعام: ٧٩].

وقال - سبحانه -: **﴿ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾**. [البقرة: ٢١].

وقال - عز وجل -: **﴿وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**. [الذاريات: ٥٦].

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**بُعثْتُ بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله تعالى وحده لا شريك له. وجعل رزقي تحت ظل رمحي. وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري. ومن تشبه بقوم فهو منهم**».

فالأمر بعبادة الله وتوحيده وإخلاص الدين له مملوء به القرآن، فالتوحيد هو أول الدين وآخره وظاهره وباطنه، وهو أول مادعا الرسل أقوامهم إليه من أولهم نوح ـ عليه السلام ـ إلى آخرهم محمد ـ ﷺ ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم**﴾. [هود: ٢٥ ـ ٢٦]. وكذلك قالها هود وصالح وشعيب. وغيرهم حتى قال سبحانه لنبيه محمد ـ ﷺ ـ: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾. [الأنبياء: ٢٦]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾. [الأنبياء: ٣٦].

فتوحيد الله وعبادته وحده بلا شريك هو لب دعوة الرسل وذروة سنامها، والحد الفاصل بين الإيمان والكفر والإسلام والشرك، وهو القدر المنجي من الخلود في النار في الآخرة، والعاصم للدم والمال والذرية في الدنيا ﴿**هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب**﴾. [إبراهيم: ٥٢].

وتوحيد الله ـ سبحانه ـ يتمثل في:

* **إفراده في الأفعال التي تصدر منه.**

بمعنى أنه ـ سبحانه ـ المتصرف في شئون خلقه: خلقاً وإحياءً وإماتة ورزقاً ونفعاً وضرًّا وتشريعاً وتحليلاً وتحريماً وحكماً وغير ذلك، من الأفعال المتعلقة به ـ عز وجل ـ فليس معه رب يصرّف أمر الكائنات،

أو يدبـر أمـر العـالم، علويه وسفليه، وهو مايعبر عنه العلماء بتوحيد الربوبية فهو ـ سبحانه ـ رب كل شيء وخالقه ومالكه. فمن اعتقد أن غير الله له تصرف في الكون أو يملك الضر والنفع فقد أشرك في ربوبية الله ـ عزّ وجل ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وماهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير**﴾. [سبأ: ٢٢].

* **وإفراده في الأفعال التي تصدر من العباد إليه.**

بمعنى أن العباد يتوجهون بأفعالهم إلى ربهم، وحده بلا شريك، يألهونه ويرجونه وحده، ولا يألهون غيره، ولا يرجون سواه. يتوجه العباد إليه وحده استعانة واستغاثة وتوكلاً وحبًّا وخوفاً وإنابة وذبحا ونذراً وحلفاً باسمه وطوافاً ببيته. فتتجرد قلوبهم له، وتتوجه أبصارهم إليه، وتسلم وجوههم له رغبة ورهبة. فلا يكون في قلوبهم شيء لغير الله، بل لا تلتفت قلوبهم إلا إليه سبحانه. فهو قرة قلوبهم ونعيمهم. ولا يطيب لهم عيش، ولا تهنأ لهم حياة إلا في ظل طاعته وإخلاص العبودية له وإقبال القلوب عليه. وهو مايسميه العلماء بتوحيد الألوهية أو توحيد العمل والقصد والإرادة والطلب.

* **وإفراده في أسمائه وصفاته.**

فنثبت له ـ سبحانه ـ ما أثبته لنفسه ـ وهو أعلم بنفسه من كل مخلوق ـ ونثبت له أيضاً ماأثبته له رسوله ﷺ ـ وهو أعلم الخلق به من غير تكييف أو تشبيه أو تأويل أو تعطيل على مايليق بجلاله وعظمته، وننفي عنه مانفاه عن نفسه ومانفاه عنه رسوله ـ ﷺ ـ وهو مايسميه العلماء بتوحيد الأسماء والصفات.

وهذا هو الإسلام الذي رضيه الله من العباد. وقد أمرهم به، وأعلن رسـوله محمد ـ ﷺ ـ أمر ربه له بذلك على رءوس الأشهاد قائلاً: ﴿**إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين* وأمرت لأن أكون أول المسلمين* قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم* قل الله أعبد مخلصاً له ديني* فاعبدوا ماشئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين**﴾. [الزمر: ١١ ـ ١٥].

وتوحيد الله ـ عزّ وجل ـ يتمثل في شهادة أن لا إله إلا الله: نطقاً بها، وعملاً بمقتضاها نفياً وإثباتاً، والتزاما بلوازمها، وتقيداً بشروطها، واتخاذها منهـاجا للحياة، ينظم شئون الإنسان الخاصة والعامة، في البيت، وفي المسجد، وفي العمل، وفي سائر شئون الحياة. قال ـ تعالى ـ: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين* لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾. [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

[التوحيد أول دعوة الرسل. وأول منازل الطريق. وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله ـ تعالى ـ. قال تعالى: ﴿**لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقـوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره**﴾. [الأعراف: ٥٥]. وقال هود لقومه: ﴿**اعبـدوا الله مالكم من إلـه غيره**﴾. [الأعـراف: ٦٥]. وقال صالح لقومه: ﴿**اعبـدوا الله مالكم من إلـه غيره**﴾. [الأعـراف: ٥٣]. وقال شعيب لقومه: ﴿**اعبدوا الله مالكم من إله غيره**﴾. [الأعراف: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾[1]. [النحل: ٢٦]. انتهى.

---

(١) مدارج السالكين ٣/٤٤٣.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب في كتابه المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال: اعلم أيها المنصف! أن دين الله القويم وصراطه المستقيم، إنما يتبين بمعرفة أمور ثلاثة، هي مدار دين الإسلام، وبها يتم العمل بأدلة الشريعة والأحكام، ومتى اختلت وتلاشت وقع الخلل في ذلك النظام.

الأمر الأول: أن تعلم أن أصل دين الإسلام وأساسه، وعماد الإيمان ورأسه، هو توحيد الله ـ تعالى ـ الذي بعث به المرسلين، وأنزل به كتابه المحكم المبين. قال ـ تعالى ـ: ﴿**الّر* كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير* ألّا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير**﴾ وهذا هو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله. فإن أصل دين الإسلام أن لا يعبد إلا الله. وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، لا بالأهواء والبدع. وقد قال شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ إمام الدعوة الإسلامية والداعي إلى الملة الحنيفية: أصل دين الإسلام وقاعدته أمران: الأمر بعبادة الله وحده، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه. والنهي عن الشرك بالله في عبادته، والتغليظ فيه، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله. والمخالف في ذلك أنواع، ذكرهاـ رحمه الله تعالى ـ.

وهذا التوحيد له أركان وفروع ومقتضيات وفرائض ولوازم، لا يحصل الإسلام الحقيقي على الكمال والتمام إلا بالقيام بها علماً وعملاً. وله نواقض ومبطلات تنافي ذلك التوحيد.

فمن أعظمها أمور ثلاثة: الأول:

الشرك بالله في عبادته، كدعوة غير الله، ورجائه، والاستعانة به،

والاستغاثة به، والتوكل عليه. ونحو ذلك من أنواع العبادة. فمن صرف منها شيئاً لغير الله كفر. ولم يصح له عمل. وهذا الشرك هو أعظم محبطات الأعمال، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**ولو أشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون**﴾. وقوله: ﴿**ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين* بل الله فاعبد وكن من الشاكرين**﴾...

ثم ذكر **الأمر الثاني**: وهو انشراح الصدر لمن أشرك بالله وموادة أعداء الله.

والأمر الثالث: موالاة المشرك، والركون إليه، ونصرته، وإعانته باليد أو اللسان أو المال(١). انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مجموع الفتاوى ١/ ٥٢، ٥٣:

[فالتوحيد ضد الشرك، فإذا قام العبد بالتوحيد الذي هو حق الله، فعبده لا يشرك به شيئاً كان موحداً. ومن توحيد الله وعبادته التوكل عليه والرجاء له والخوف منه، فهذا يخلص به العبد من الشرك]. وقال ١/ ٧٠:

[وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جدًّا. بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره. كما قال النبي ـ ﷺ ـ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسُول الله**» وقال: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحاً**». وقال: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة**» وهو قلب الدين والإيمان وسائر الأعمال كالجوارح له]. وقال ١/ ١٤٥:

---

(١) الرسائل والمسائل النجدية ٤/ ٢٨٩.

[وهـذا الأصل وهو التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينا غيره. وبه أرسل الرسل وأنزل الكتب كما قال تعالى: ﴿**واسـأل من أرسلنـا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون**﴾ وقال تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾ وقال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة**﴾ وقد ذكر الله عز وجل عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأنه قال لقومه: ﴿**اعبدوا الله مالكم من إلهٰ غيره**﴾]. وقال **١ / ٣١٠**:

[ودين الإسلام مبني على أصلين: وهما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وأول ذلك أن لا تجعل مع الله إلهاً آخر، فلا تحب مخلوقاً كما تحب الله، ولا ترجوه كما ترجو الله، ولا تخشاه كما تخشى الله. ومن سوّىٰ بين المخلوق والخالق في شيء من ذلك فقد عدل بالله. وهو من الذين بربهم يعدلون. وقد جعل مع الله إلها آخر وإن كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خلق السموات والأرض]. وقال **٣ / ١٠٤، ١٠٥**:

[فهذا أصل عظيم على المسلم أن يعرفه، فإنه أصل الإسلام الذي يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر. وهو الإيمان بالوحدانية والرسالة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وقد وقع كثير من الناس في الإخلال بحقيقة هذين الأصلين أو أحدهما مع ظنه أنه في غاية التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفة].

فليحذر العاقل اللبيب أن يقع فيما يبطل توحيده، ويفسد إسلامه، ويغضب ربـه، ويورد نفسـه موارد الهلكـة. فاستمسكوا ـ رحمكم الله ـ

بتوحيدكم، وحافظوا على دينكم، وعضوا عليه بالنواجذ، وأفرغوا وسعكم في تحقيقه، علماً وعملاً وحالاً، جعلني الله وإياكم ممن أخلص دينه لله، وختم لنا بخاتمة الخير والسعادة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كتبهـــا

صبري بن سلامة شاهين

ليلة الجمعة السادس عشر من شهر شوال ١٤١٥هـ

بالرياض

عملي في هذه الرسالة

١ ـ قمت بنسخ المخطوط، وفي أثناء النسخ وقفت على عبارات أحفظ بعضها، مما لفت النظر والانتباه، فراجعت بعض النقولات التي احتفظ بها في أوراق خاصة بي، فوجدتها ضمن كلام للحافظ ابن رجب في رسالته المسماة بكلمة الإخلاص وتحقيق معناها. فقمت باقتناء خمس رسائل للمقارنة وإثبات الصحيح من النصوص وتوثيقها.

٢ ـ كتبت فصلاً بين يدي الكتاب: تحت عنوان «مراعاة أحوال المخاطبين» فيه فوائد منتقاة من حديث معاذ ـ رضي الله عنه ـ الذي استفتح به المؤلف الكتاب. نقلت فيه من أقوال أهل العلم مايفي بالمطلوب ويدل على المقصود.

٣ ـ خرجت الآيات القرآنية، وجعلته في المتن.

٤ ـ خرجت الأحاديث النبوية تخريجاً علميًا، على وفق منهج المحدثين، معتمداً في الحكم على صحة الأحاديث وتضعيفها على أقوال أهل الصنعة القدامى والمحدثين.

٥ ـ خرجت الآثار، ومالم أقف عليه استعنت بتخريجات الأخوة الأفاضل، الذين حققوا الرسالة المسماة «بكلمة الإخلاص» وعزوت كل نقل إلى مصدره.

٦ ـ نقلت في الحـواشي عن أهل العلم مايبين مجملاً في المتن، أو يفسر مبهماً، أو يشرح غريباً، أو يعضد كلام المصنف ـ رحمه الله ـ.

٧ ـ ترجمت للمؤلف ابن رجب ترجمة تتناسب مع حجم الرسالة.

٨ ـ وأخيـراً وضعـت عناويـن تـدل القـاريء علـى المـراد ممـا فـي المتـن أو الحواشي.

النســخ المعتمــدة

١ ـ اعتمدت في إخراج هذا المؤلَّف على نسخة خطية تامة ضمن مجموع تتكون من اثنتي عشرة صحيفة تبدأ من ص ١ حتى ص ١٢ ومقاسها ١٢×٩ سم وعدد الأسطر مابين ١٨ و ٢٠ سطراً، كُتِبَتْ بخطٍّ معتاد مقروء، كتبها محمد بن محمد بن عبدالدايم الحنبلي سنة ٧٨٧هـ وكتبت في حياة المؤلف، حيث توفي الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ سنة ٧٩٥هـ أي قبل أن يموت بثمانية أعوام وبهامشها تصحيحات وفوائد قليلة.

وهي من مخطوطات المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تحت رقم حفظ ٤٧٦١/ ح.

٢ ـ رسالة كلمة الإخلاص وتحقيق معناها. تحقيق الشيخ الفاضل محمد حامد الفقي ـ رحمه الله ـ رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر ومن علماء الأزهر الشريف. ورمزت لها برمز [ق]. وورد جزء كبير منها في كتاب الرسائل والمسائل النجدية ٥/ ٨٥٩ ـ ٨٧٤ على نسخة خطية كتبت في سنة ١٢٩٩هـ كتبها صالح بن محسن بن شيبان.

٣ ـ نسخة أخرى تحقيق الأستاذ زهير الشاويش وخرج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ حفظه الله ـ ورمزت لها برمز [أ]. على نسخة خطية كتبت سنة ١٢٧٨هـ كتبها محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن أحمد بن ناصر المطاوعة.

٤ ـ نسخة أخرى تحقيق الدكتور أسامة محمد عبدالعظيم ـ حفظه الله ـ ورمزت لها برمز [س].

٥ ـ نسخة أخرى تحقيق بشير محمد عيون ـ حفظه الله ـ ورمزت لها برمز [ش].

٦ ـ نسخة أخرى ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب ـ الرسالة الثالثة ـ تحقيق الأخ عادل بن يوسف عزازي ـ حفظه الله ـ ورمزت لها برمز [ع].

٧ ـ نسخة أخرى تحقيق عماد طه فِرّة ـ حفظه الله ـ ورمزت لها برمز [ط].

٨ ـ نسخة أخرى تحقيق الأخ إبراهيم الحازمي ـ حفظه الله ـ ورمزت لها برمز [ز].

وجعلت المخطوط هو الأصل المعتمد، وإذا كان ثَمَّ فوارق بين المخطوط والرسائل المطبوعة أثبتها في الحواشي وتغاضيت عن بعض الفوارق حتى لا أثقل الحواشي.

وبذلك تكون نسختنا هذه بفضل الله ـ تعالى ـ وبهذا الاسم هي أصح وأوثق من كل النسخ المطبوعة من قبل لأن هذه النسخة كتبت في حياة المؤلف ـ رحمه الله ـ وماعداها فقد كتب بعد وفاته بسنين عديدة ولعل بعض تلاميذه أو النساخ تصرفوا في هذا الكتاب ونسخوه باسم كلمة الإخلاص وتحقيق معناها.

ترجمـة المؤلـف

(أ) اسمـه ونسبـه :

هو الإمام الحافظ الزاهد المقرىء الحجة صاحب التصانيف الرائعة العجيبة زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب ابـن أبي البركات مسعـود السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي الشهيـر بـ «ابن رجب» .

(ب) ولادتـه ونشأتـه :

ولـد في بغداد في شهـر ربيع الأول سنة ٧٣٦هـ ثـم قدم إلى دمشق سنة ٧٤٤هـ مع والده العلامة شهاب الدين أحمد، وحصل على إجازة من الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن النقيب مدرس المدرسة الشامية، وقرأ على الشيخ الفخر التَّوْزري في مكة، وسمع من العلامة ابن الخباز وأقرانه بدمشق، وسمع أيضا من العلامة الميدومي وأقرانه في مصر، حتى صار من أكـابـر العلماء العـاملين، وبرع في معرفة فنون الحديث وعلله ومعـانيه، وقرأ القرآن بالروايات، وأجاد في علم الفقه والأصول والزهد والأدب حتى أتقن المذهب الحنبلي.

(جـ) شيوخـــه :

أخذ العلم عن ثلة من علماء عصره من الفقهاء والمحدثين في بغداد ومصر ومكة ودمشق، وتتلمذ على أبيه، ودرس على الحافظ العلائي المتوفى

سنة ٧٦١ هـ ولازم شيخ الإسلام ودرة الأيام ابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ وأخذ العلم عن العلامة محمد القلانسي الحنبلي المتوفى سنة ٧٦٥ وكذلك العلامة ابن عبدالهادي، والعلامة ابن قاضي الجبل وغيرهم.

(د) تلاميـــذه :

أما أبرع تلاميذه وأجودهم وأشهرهم فهو الحافظ العلامة ابن حجر العسقلاني صاحب الفتح المتوفى سنة ٨٥٢ هـ وعبدالرحمن بن عياش الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٤ هـ وابن المنصفي وابن اللحام وغيرهم كثير.

(هـ) مؤلفاتـــه :

أمـا عن تصـانيفـه ومؤلفاته فقد بلغت من الجودة والإتقان وحسن الصياغـة وعـذوبـة العبـارة، واشتملت على الفـوائد الجسام، والنكت العظام، وحسن الترتيب والتبويب، وقد شرح صحيح البخاري، وسماه فتح الباري، ولكنه لم يتمه، فقد بلغ فيه إلى كتاب الجنائز، وهو مخطوط ضمن كتاب الكواكب الدراري في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم (٣٧٧) وغير ذلك من المخطوطات. أما الكتب المطبوعة فهي:

١ - **شرح علل الترمذي**، طبع في بغداد سنة ١٣٩٦ هـ بتحقيق الشيخ صبحي السامرائي.

٢ - **جامع العلوم والحكم**، وهو شرح أربعين النووي مع زيادة بعض الأحاديث.

٣ - **ذيـل طبقـات الحنابلة**، طبع في مصر طبعـة الشيـخ حامد الفقـي - رحمه الله -.

٤ - **القواعد الفقهية**، وهو كتاب جيد عظيم القدر كثير الفائدة.

٥ - **لطائف المعارف** فيما لمواسم العام من الوظائف، طبع في مصر سنة

١٣٤٣ هـ وبيروت سنة ١٤٠٩ هـ.

٦ ـ **الاستخراج لأحكام الخراج**، طبع بالرياض في مكتبة الرشد.

٧ ـ **نور الاقتباس** في شرح حديث وصية النبي ـ ﷺ ـ لابن عباس.

٨ ـ كتاب التوحيد: وهو كتابنا هذا وقد طبع من قبل باسم: **كلمة الإخلاص وتحقيق معناها**، طبع بمصر سنة ١٣٥٢هـ تحقيق: الشيخ حامد الفقي ثم طبع بتحقيق الشيخ الألباني وغيرهما.

٩ ـ **التخويف من النار** والتعريف بحال دار البوار، طبع بمصر ودار البيان ودار الرشيد بدمشق.

١٠ ـ **أهوال القبور** وأحوال أهلها إلى النشور، طبع بمصر.

١١ ـ **الحكم الجديرة** بالإذاعة من قول النبي ـ ﷺ ـ: «**بعثت بالسيف بين يدي الساعة**».

١٢ ـ **فضل علم السلف على الخلف**.

١٣ ـ **شرح حديث**: «**ما ذئبان جائعان**».

١٤ ـ **كشف الكربة** في وصف حال أهل الغربة.

١٥ ـ **الفرق بين النصيحة والتعيير**.

١٦ ـ **غاية النفع** بشرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع(*).

١٧ ـ **تسلية نفوس النساء والرجال** عند فقد الأطفال.

١٨ ـ **اختيار الأولى** شرح حديث اختصام الملأ الأعلى.

١٩ ـ **الخشوع في الصلاة**.

(*) قمت بفضل الله تعالى بتحقيق هذا الكتاب على نسختين خطيتين بها قرابة ثلاث صفحات زيادة على النسخ المطبوعة. وهو من منشورات دار الحميضي بالرياض مع كتابي «المؤمن بين البلاء والصبر».

٢٠ ـ المحجة في سير الدلجة.

٢١ ـ تفسيرسورة النصر.

٢٢ ـ تفسير سورة الإخلاص

وغير ذلك كثير، وقد استوعب الأستاذ الدكتور همام عبدالرحيم سعيد كتب ابن رجب فعدها خمسين كتاباً ورسالة. انظر: كتابه العلل في الحديث ٢٥٢، ٢٥٦.

(و) ثناء العلماء عليه :

لقد أثنى عليه المعاصرون من العلماء وغيرهم، وقالوا فيه ما هو أهله اعترافاً بفضله وعلمه وزهده وورعه.

فقال عنه تلميذه الحافظ ابن حجر هو: «الشيخ المحدث الحافظ».

وقال: «قد مهر في فنون الحديث أسماءً ورجالاً وعللاً وطرقاً واطلاعاً على معانيه».

وقال: «وكان صاحب عبادة وتهجد منجمعا عن الناس لا يخالطهم ولا يتردد إلى أحد من ذوي الولايات».

وقال عنه العلامة ابن حجِّي :

«أتقن فن الحديث، وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبع الطرق».

وقال عنه العلامة ابن ناصر الدين الدمشقي :

«الشيخ الإمام العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة واعظ المسلمين، مفيد المحدثين».

وقال عنه العلامة العُليميُّ :

«هو الشيخ الإمام، والحبر الهُمام، العالم العامل، البدر الكامل، القدوة الورع، الزاهد الحافظ، الحجة الثقة، شيخ الإسلام، وزين الملة

والدين، واعظ المسلمين، مفيد المحدثين، جمال المصنفين».

وقال أيضا:

«اجتمعت الفِرق عليه، ومالت القلوب بالمحبة إليه».

وقال عنه الحافظ السيوطي:

«الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ».

(ى) وفاتــــه:

مات ـ رحمه الله ـ في شهر رجب سنة ٧٩٥ هـ ويقال في شهر رمضان ليلة الاثنين الرابع عشر منه بدمشق، ودفن بمقبرة الباب الصغير بجوار الفقيه الزاهد الشيخ أبي الفرج عبدالواحد بن محمد الشيرازي المقدسي، فأجزل الله له المثوبة، ونفع بعلومه العباد، وحشره في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، اللهم آمين.

بين يدي هذه الرسالة
مراعـاة أحـوال المخاطبيـن

تغلغل الفكر الإرجائي في الأمة، حتى غدا الإيمان قولاً والتوحيد شعاراً والإسلام إرثاً وانتساباً، وصادف هذا الفكر قلوباً خاوية، فاستحكم من القلوب والعقول وفي حياة البشر، وكما قيل:

أتـانـي هواهـا قبـل أن أعـرف الهـوى
فصـادف قلبـاً خالـيـاً فتـمـكـنـا

فترك النـاس الفرائض والواجبات والسنن، واكتفوا بقول: لا إله إلا الله، وظنوا أن دينهم محفوظ، وإسلامهم مصون، وإيمانهم لا غبار عليه. فهم يؤمنون برب واحد للكون، لا يعتقدون بالتثليث، ويعرفون أن الله ربهم وخـالقهم ورازقهم، ويؤمنـون ـ على حدِّ زعمهم ـ باليوم الآخـر والحسـاب والعقـاب والجنـة والنـار. وقـد يؤدي بعضهـم صلاة الجمعة والعيدين، وقد يصوم البعض الآخر شهر رمضان أو بعض أيام منه، وقد يعتمر البعض الآخر ويحج بيت الله الحرام، ويظنون أنهم على خير وعلى جادة الطريق. والكثير ممن ينتسب لهذا الدين يعتقد النفع والضر بيد بعض الأولياء والصالحين، فيتوسل بهم، ويستغيث، وينذر لهم، ويحلف باسم الواحد منهم. ويظنون أنهم على خير ماداموا يقولون: لا إله إلا الله. وقد سرت أحاديث: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**» و «**اخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله**» وماشابه ذلك حتى سرت هذه الأحاديث في العامة

سريان النار في الهشيم، فأتت على الأخضر واليابس. وظن أكثر المنتسبين إلى الملة أن النطق بالشهادتين يكفي في إثبات صفة الإسلام ودخول الجنان، وإن تركوا الصلوات، وفعلوا المنكرات: كالاستهزاء بالله ورسوله وآياته، وأشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا، ووالوا أعداء الله من اليهود والنصارى والملحدين، وحكموا في الناس الشرائع الكفرية والقوانين الوضعية الجاهلية. نشأ على ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، حتى صار في عرف العامة ومعتقدهم وعند بعض الدعاة أن هذا هو الوضع السليم والأمر الذي لا يحتاج إلى وقفة، بل وقفات، اللهم إلا بعض الإصلاحات من هنا ومن هناك، وأصبح الإنكار متوجهاً على من ينكر ذلك الوضع، أو يضع يده على أصل الـداء، أو يحاول أن يهز بعنف هذا السبات الذي هو أشبه منه بالموت، ويوقظ الغافلين الذين هم واقعين في شراك عدو الله إبليس اللعين. يُنْكَرُ على من يَنْكِرُ المنكر، ويدعو إلى عودة الناس إلى ربهم، بإخلاص دينهم لله، وإسلام وجوههم لربهم، وتخليص حياتهم من الشركيات والوثنيات.

وهذه الرسالة التي بين أيدينا تعالج هذا الأمر، وتدعو إلى أن الإيمان والإسلام قول وعمل، ولا ينفع قول بلا عمل. وإن فهم من بعض الأحاديث أن القول ينفع دون أن يقرن بعمل ـ وهذا مالا يكون بإذن الله ـ أقول: إن فهم ذلك ممن قصر فهمه وقل عقله، فينبغي أن لا تنشر على مسامعه هذه الأحاديث، وتحجب عنه، مادام فهمه يؤدي به إلى غير ما أراد الشرع، وهذا مافهمه الصحابة وسلف هذه الأمة الصالح الذين ما أن سمعوا مثل هذه الأحاديث، حتى ازدادوا عملاً وإقبالاً على الله. أما في القرون المتأخرة اتخذت مثل هذه الأحاديث ذريعة إلى ترك التكاليف،

والاستهانة بالفرائض، وجرأة على انتهاك الحرمات، حتى وصل الحال بهذه الأمة إلى ماصارت إليه، مما لا يخفى على ذي عينين، والله المستعان.

قال العلامة جمال الدين القاسمي تحت عنوان:

«بيان الثمرات المجتناة من شجرة الحديث الصحيح المباركة» الثمرة التاسعة: ماكل حديث صحيح تُحدِّث به العامة، والدليل على ذلك مارواه الشيخان عن معاذ ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت رِدْفَ النبيِّ ـ ﷺ ـ على حمار، فقال: **«يامعاذ! هل تدري ماحق الله على عباده؟ وماحق العباد على الله؟»** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **«فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا»** قلت: يارسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: **«لا تبشرهم فيتكلوا»**.

وفي رواية لهما عن أنس؛ أن النبي ـ ﷺ ـ قال لمعاذ، وهو ردفه: **«مامن أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه، إلا حرّمه الله على النار»** قال: يارسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: **«إذا يتكلوا»** فأخبر بها معاذ عند موته تأثما.

وروى البخاري تعليقاً عن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ **«حدِّثوا الناس بما يعرفون. أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسوله؟»** ومثله قول ابن مسعود: **«ماأنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة»** رواه مسلم.

قال الحافظ ابن حجر: وممن كره التحدث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على الأمير، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبوهريرة كما روي عنه في الجرابين(١)

---

(١) في مسند أحمد أن أباهريرة قال: حفظت ثلاثة أجربة، بثثت منها جرابين.

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة أنه قال: «حفظت عن رسول الله ـ ﷺ ـ =

وأن المراد مايقع في الفتن، ونحوه عن حذيفة وعن الحسن، أنه أنكر تحديث أنس للحجّاج بقصة العُرَنيين[١] لأنه اتخذها وسيلة إلى ماكان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب»[٢] انتهى. ولما كان النهي للمصلحة لا للتحريم أخبر به معاذ لعموم الآية بالتبليغ. قال بعضهم: النهي في قوله - ﷺ - «**لا تبشرهم**» مخصوص ببعض الناس، وبه احتج البخاري على أن للعالم أن يخص بالعلم قوماً دون قوم، كراهة أن لا يفهموا، وقد يتخذ أمثال هذه الأحاديث البطلة[٣] والمباحية[٤] ذريعة إلى ترك التكاليف[٥] ورفع

= وعاءين، فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم [حاشية قواعد التحديث].

(١) العرنيون: نفر قدموا على النبي - ﷺ - فأسلموا فاجتووا المدينة، فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من ألبانها وأبوالها، ففعلوا، فصحُّوا، فارتدوا، وقتلوا رعاتها، واستاقوا الإبل، فبعث في آثارهم، فأُتي بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم، ثم لم يحسمهم حتى ماتوا. والحديث في الصحيحين وغيرهما. [حاشية قواعد اللاحديث].

(٢) فتح الباري ١/٢٧٢.

(٣) يقال: أبطل: إذا جاء بالباطل. والبطلة: السحرة والشياطين، وفي مسند أحمد من حديث أبي أمامة: «**اقرءوا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة**» وأخرجه مسلم في الصلاة. [حاشية قواعد التحديث].

(٤) كذا في الأصل ولعلها: الإباحية. [حاشية قواعد التحديث].

(٥) هذا ماحدث، فعندما انتشرت أحاديث: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**». وأحاديث الشفاعة «**اخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله**». ترك الناس التكاليف، =

الأحكام، وذلك يفضي إلى خراب الدنيا بعد خراب العقبى. وأين هؤلاء ممن إذا بُشِّروا زادوا جدًّا في العبادة؟! وقد قيل للنبي ـ ﷺ ـ: أتقوم الليل وقد غفر الله لك؟! فقال ـ ﷺ ـ: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[1] [2].

وقال العلامة الشاطبي ـ رحمه الله ـ:

«ومن ذلك التحدث مع العوام بما لا تفهمه ولا تعقل معناه، فإنه من باب وضع الحكمة غير موضعها، فسامعها إما أن يفهمها على غير وجهها ـ وهو الغالب ـ وهو فتنة تؤدي إلى التكذيب بالحق وإلى العمل بالباطل. وإما لا يفهم منها شيئاً، وهو أسلم ولكن المحدث لم يعط الحكمة حقها من الصون، بل صار في التحدث بها كالعابث بنعمة الله.

ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ:

«وخرَّج شعبة عن كثير بن مرة الحضرمي أنه قال: إن عليك في علمك حقًّا، كما أن عليك في مالك حقًّا؛ لا تحدث بالعلم غير أهله فتُجهَّل، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك. وقد ذكر العلماء هذا المعنى في كتبهم، وبسطوه بسطا شافياً، والحمد لله. وإنما نبهنا عليه لأن كثيراً ممن لا يقدر قدر هذا الموضع يزل فيه، فيحدث الناس بما لا تبلغه عقولهم، وهو على خلاف الشرع، وماكان عليه سلف هذه الأمة»[3].

= واكتفوا بالقول فقط، وزاد الطين بللاً أن روّج لهذه البلية بعض المنتسبين للعلم والمتصدرين للفتوى والتدريس، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(١) أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي.

(٢) قواعد التحديث ١٠٠ ـ ١٠٢.

(٣) الاعتصام ٢/ ١٣، ١٤.

ولما أخبر أبوهريرة عمرَ ـ رضي الله عنهما ـ بحديث: «**من شهد أن لا إله إلا الله مستيقناً به قلبه دخل الجنة**» فقام عمر، وضرب بيده بين ثَدْيَيِّ أبي هريرة حتى أسقطه. وقال: ارجع ياأباهريرة. فرجع أبوهريرة إلى رسول الله، وأخبره بما فعل عمر. فقال الرسول ـ ﷺ ـ: «**ماحملك على مافعلت؟**» قال عمر: فلا تفعل فإني أخشىٰ أن يتكل الناس عليها، فخلهم يعملون. قال الرسول ـ ﷺ ـ: «**خلهم**»[1].

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في تعليقه على هذا الحديث:

«فيه جواز إمساك بعض العلوم التي لا حاجة إليها للمصلحة أو خوف المفسدة»[2].

قال القاضي عياض وغيره من العلماء ـ رحمهم الله ـ: وليس فعل عمر ـ رضي الله عنه ـ ومراجعته النبي ـ ﷺ ـ اعتراضاً عليه وردًّا لأمره، إذ ليس فيما بعث به أباهريرة غير تطييب قلوب الأمة وبشراهم. فرأى عمر ـ رضي الله عنه ـ أن كتم هذا أصلح لهم، وأحرى أن لا يتكلوا، وأنه أعود عليهم بالخير من معجل هذه البشرى، فلما عرضه على النبي ـ ﷺ ـ صوّبه فيه. والله تعالى أعلم[3].

وجاء أيضاً في حديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قول النبي ـ ﷺ ـ: «**مامن عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرَّم الله عليه النار**» فقال معاذ: يارسول الله أفلا أخبر الناس فيستبشروا؟!

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم (٥٢) (٣١).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٢٤٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٢٣٨.

قال: «**إذا يتكلوا**» فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً»[١].

قال الإمام ابن الصلاح ـ رحمه الله ـ:

«منعه من التبشير العام خوفاً من أن يسمع ذلك من لا خبرة له ولا علم، فيغتر ويتّكل، وأخبر به ـ ﷺ ـ على الخصوص من أمن عليه الاغترار والاتكال من أهل المعرفة، فإنه أخبر به معاذاً، فسلك معاذ هذا المسلك، فأخبر به الخاصة من رآه أهلاً لذلك»[٢].

وقد ثبت أيضاً عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ وهو يعالج سكرات الموت، أنه قال: والله مامن حديث سمعته من رسول الله ـ ﷺ ـ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً، وسوف أحدثكموه اليوم، وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرَّم الله عليه النار**»[٣].

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ:

«فيه دليل على أنه كتم ماخشي الضرر فيه والفتنة مما لا يحتمله عقل كل واحد، وذلك فيما ليس تحته عمل، ولا فيه حد من حدود الشريعة، ومثل هذا عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كثير في ترك الحديث بما ليس تحته عمل، ولا تدعو إليه ضرورة، أو لا تحمله عقول العامة أو خشيت مضرته على قائله أو سامعه، لا سيما مايتعلق بأخبار المنافقين والإمارة

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم (٥٣) (٣٢).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٢٤١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم (٤٧).

وتعيين قوم وُصِفُوا بأوصاف غير مستحسنة، وذم آخرين ولعنهم، والله أعلم»[١].

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي ـ رحمه الله ـ:

«قال العلماء: يؤخذ من منع معاذ من تبشير الناس لئلا يتّكلوا: أن أحاديث الرخص لا تشاع في عموم الناس، لئلا يقصر فهمهم عن المراد بها، وقد سمعها معاذ فلم يزدد إلا اجتهاداً في العمل وخشية الله ـ عزّ وجل ـ فأما من لم يبلغ منزلته، فلا يؤمن أن يقصر اتكالاً على ظاهر هذا الخبر»[٢].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٢٢٩.

(٢) فتح الباري ١١/ ٣٤٠.

كتاب التوحيد من كلام

الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المتقن المحرر المفيد زين الدين علم الزهاد والحفاظ والمتكلمين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الشيخ الإمام الصالح الزاهد المقرئ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن رجب البغدادي الحنبلي تغمده الله بالرحمة والرضوان وأسكنه غرف الجنان

صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الإمام العالم العامل
العلامة القدوة الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ الصالح
العلامة أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي أدام الله النفع به آمين

في الصحيحين عن أنس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ
رديفه على الرحل فقال يا معاذ قال لبيك رسول الله وسعديك قال يا معاذ
قال لبيك رسول الله وسعديك قال يا معاذ قال لبيك رسول الله
وسعديك قال ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا
حرمه الله على النار قال يا رسول الله ألا أخبر بها الناس فيستبشروا
قال إذاً يتكلوا فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً وفي الصحيحين عن عتبان
بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله قد حرم على النار من قال لا إله
إلا الله يبتغي بها وجه الله وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أو أبي سعيد بالشك أنهم
كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك فأصابتهم مجاعة فدعا النبي
صلى الله عليه وسلم بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء
بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع
من ذلك شيء يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا
في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه فأكلوا
حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا
إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة

الصفحة الأولى من المخطوطة

الذي [illegible] لو عرفتني بعد أنك كلما كان [illegible] من [illegible]
عندي من العذاب قبل أن [illegible] لو [illegible] ما كتب [illegible]

أما إني أجد من الحب وجدا لا رمت في النار منزلا ومقيلا
ثم أرجع أهلها بذرا لهم تكون في غرامها واصيلا
معشر المشركين نوحوا علي من يدعي أنه محب الجليلا
لم يكن في الذي ادعاه محقا فجزاه به العذاب الطويلا

أخواني جهدوا الوجد [illegible] الوجد [illegible] ووصل إلى [illegible]
واحرموا على [illegible] ما [illegible] من عذاب الله [illegible]

ما نطق الناطقون إذ نطقوا أحسن من لا إله إلا هو
تبارك ذو الجلال [illegible] أشهد أن لا إله إلا هو
من [illegible] يحصيها غيرك يا الله لا [illegible] هو
[illegible] لم [illegible] أشهد أن لا إله إلا هو
[illegible] أن لا إله إلا هو
[illegible] ملا [illegible] أشهد أن لا إله إلا هو

انتهى والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما [illegible]

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

درر مـن كتابات السلـف

(١)

كتــاب التوحيـد

من كـلام

الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المتقن المحرر المفيد زين الدين علم الزهاد والحفاظ والمتكلمين أبي الفتح عبدالرحمن ابن الشيخ الإمام الصالح الزاهد المقرىء شهاب الدين أبي العباس ابن رجب البغدادي الحنبلي.

تغمده الله بالرحمة والرضوان وأسكنه غرف الجنان.

تحقيـق:

صبري بن سلامة شاهين



بسم الله الرحمن الرحيم[1]

قال الشيخ الإمـام العالم العامل العلامة القدوة الحافظ زين الدين عبـدالرحمـن بن الشيخ الصالـح العلامة أحمد بن رجب الحنبلي البغـدادي أدام الله النفع به. آمين[2].

في الصحيحين عن أنس بن مالك، قال: كان النبي ـ ﷺ ـ ومعاذ رديفه على الرحل، فقال: «**يامعاذ!**» قال: لبيك رسول الله[3] وسعديك! قال: «**يامعاذُ!**» قال: لبيك رسول الله وسعديك! قال: «**يامعاذ!**» قال: لبيك رسول الله وسعديك. قال: «**مامن عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار**» قال: يارسول الله، ألا أخبر بها الناس فيستبشروا؟ قال: «**إذاً يتكلوا**» فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً[4].

---

(١) ثبتت البسملة في المخـطوط وجميع النسخ ماعدا نسخة (ز). وفي نسخة (ش) هو حسبي وبه أستعين. وباقي النسخ «وبه نستعين» ماعدا نسخة (ز).

(٢) كذا بالمخطوط وفي نسخة (ش) قال الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام زين الدين ابن رجب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ والظاهر أن ذلك من صنيع النساخ.

(٣) كذا وقع في مخطوطتنا وفي نسخة (ع) و (س) وباقي النسخ [لبيك يارسول الله].

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم/ باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهمـوا ١/ ٤١ وفي كتاب الجهاد والسير/ باب اسم الفرس والحمار ٣/ ٢١٦ وفي كتاب اللباس/ باب إرداف الرجل خلف الرجل ٧/ ٦٨. ومسلم في كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم (٣٢).

وفي الصحيحين عن عِتبان بن مالك عن النبي - ﷺ - قال: «**إن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله**»[١].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أو أبي سعيد بالشك[٢] - أنهم كانوا مع النبي - ﷺ - في [غزاة][٣] تبوك فأصابتهم مجاعةٌ، فدعا النبي - ﷺ - بنطع[٤] فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، وجعل الآخر بكف تمرٍ، وجعل الآخر يجيء بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله - ﷺ - بالبركة، ثم قال: «**خذوا في أوعيتكم**»، فأخذوا في أوعيتهم، حتى ماتركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤوه. قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله - ﷺ -: «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما فيحجب عن الجنة**»[٥].

وفي الصحيحين عن أبي ذرٍّ، عن النبي - ﷺ - قال: «**مامن عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**» قلت: وإن زنى، وإن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة/ باب المساجد في البيوت ١/ ١١٠ وفي كتاب التهجد/ باب صلاة النوافل جماعة٢/ ٥٦ وفي كتاب الرقاق/ باب العمل الذي يبتغى به وجه الله تعالى ٧/ ١٧٢ ومسلم في كتاب المساجد/ باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر رقم (٦٥٧) (٢٦٣).

(٢) الشاك هنا هو الأعمش كما في صحيح مسلم ١/ ٥٦.

(٣) كذا وقع هنا وفي بعض النسخ [غزوة].

(٤) النطع: المتخذ من الأديم. معروف. وفيه أربع لغات: فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها. والجمع: أنطاع ونطوع. المصباح المنير ص ٦١١.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم (٤٥) وأحمد في المسند ٣/ ١١.

سرق؟! قال: «**وإن زنى، وإن سرق**». قالها ثلاثاً، ثم قال في الرابعة: «**على رغم أنف أبي ذر**» فخرج أبو ذر، وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذرٍّ[١].

وفي صحيح مسلم عن عبادة، أنه قال عند موته: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله [حرم الله عليه النار]**»[٢].

وفي [الصحيحين][٣] عن عبادة عن النبي - ﷺ - قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وأن الجنة حق**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس/ باب الثياب البيض ٧/٤٣.
ومسلم في كتاب الإيمان/ باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة رقم (١٥٤) وأحمد في مسنده ٥/١٦٦.
يقال: رغم أنفه رغما: إذا ساخ في الرغام وهو التراب، ثم استعمل في الذل. الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٢/٦٨.
والرَّغام: بالفتح التراب. ورَغَم أنفه رَغْما من باب قَتَلَ، ورَغِمَ من باب تَعِبَ. لغة كناية عن الذل، كأنه لصق بالرغام. هوانا. ويتعدى بالألف فيقال: أرغم الله أنفه. وفعلته على رُغْم أنفه بالفتح والضم. أي على كره منه. المصباح المنير ص٢٣١ للفيومي.

(٢) كذا وقع هنا وهو الموافق لما في صحيح مسلم وفي بعض النسخ [حرّمه الله على النار] والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم (٤٧).

(٣) كذا وقع هنا وهو الصواب وفي بعض النسخ [في صحيح مسلم] فالحديث عند البخاري أيضاً رحمه الله.

والنار حق، أدخله الله الجنة، على ماكان من عمل»[١].

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة جدًّا يطول ذكرها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء/ باب قوله عزّ وجل: **﴿ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ ٤/١٣٩**.
ومسلم في كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم (٤٦).
قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص **٧٢** قوله: «من شهد أن لا إله إلا الله» أي: من تكلم بهذه الكلمة عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً، كما دل عليه قوله تعالى: **﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾** [محمد: ٢٠] وقوله: **﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾** [الزخرف: ٨٧] أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها فإن ذلك غير نافع بالإجماع. وفي الحديث مايدل على هذا. وهو قوله «من شهد» إذ كيف يشهد وهو لا يعلم، ومجرد النطق بشيء لا يسمى شهادة به.. ثم قال ص٧٨ فمن قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها، من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به، فهذا هو المسلم حقًّا، فإن عمل به ظاهراً من غير اعتقاد فهو المنافق، وإن عمل بخلافها من الشرك فهو الكافر، ولو قالها. ألا ترى أن المنافقين يعملون بها ظاهراً وهم في الدرك الأسفل من النار. واليهود يقولونها وهم على ماهم عليه من الشرك والكفر، فلم تنفعهم. وكذلك من ارتد عن الإسلام بإنكار شيء من لوازمها وحقوقها فإنها لا تنفعه ولو قالها مائة ألف. فكذلك من يقولها ممن يصرف أنواع العبادة لغير الله، كعباد القبور والأصنام فلا تنفعهم ولايدخلون في الحديث الذي جاء في فضلها وما أشبهه من الأحاديث.. وقد بين النبي ـ ﷺ ـ ذلك بقوله: «**وحده لا شريك له**» تنبيهاً على أن الإنسان قد يقولها وهو مشرك كاليهود والمنافقين وعباد القبور]. انتهى.

أهل التوحيد لا يخلدون في النار وإن دخلوها

وأحاديث هذا الباب نوعان:

أحدهما: مافيه أنَّ من أتى بالشهادتين دخل الجنة، أو لم يحجب عنها؛ وهذا ظاهر؛ فإن النار لا يخلَّد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص، وقد يدخل الجنة ولا يحجب عنها إذا طُهِّر من ذنوبه بالنار.

وحديث أبي ذر معناه: أن الزنا والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد، وهذا حق لا مرية فيه(١) ليس فيه: أنه لا يعذَّب يوماً عليهما مع التوحيد.

(١) نعم هذا حق لا مرية فيه، ولا يغالط فيه إلا مدخول العقيدة. فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن المسلم إذا كان على التوحيد، ولم يشرك بربه أحداً، واقترف بعض السيئات، مثل السرقة والزنا وشرب الخمر وغير ذلك من الكبائر، فهو في مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة، وإن شاء آخذه بذنبه، فأدخله النار، ثم يطهر فيها، ويكون مصيره في النهاية إلى الجنة ورحمة الله ـ عزّ وجل ـ. وعلى هذا يحمل قوله ـ ﷺ ـ في الحديث السابق «**أدخله الله الجنة على ماكان من عمل**» أن العمل هذا هو مادون الكفر والشرك من سائر الكبائر. أما الكفر والشرك فلا يُدْخِلُ الله صاحبه الجنة أبداً، لأن الله حرمها على الكافرين، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه على صحيح مسلم ١/٢١٧: [واعلم أن مذهب أهل السنة وماعليه أهل الحق من السلف والخلف: أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال. فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلاً، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلاً لكنهم يردونها على الخلاف المعروف في الورود. =

وفي «مسند البزار» عن أبي هريرة مرفوعاً: «**من قال: لا إله إلا الله نفعته يوماً من دهره، يُصيبه قبل ذلك ماأصابه**»(١).

والثاني: مافيه أنه يحرم على النار، وهذا قد حمله بعضهم على الخلود فيها، أو على نار يخلَّد فيها أهلُها، وهي ماعدا الدرك الأعلى، فإن الدرك الأعلى يدخله خلق كثير من عصاة الموحدين بذنوبهم، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين، وبرحمة أرحم الراحمين.

وفي الصحيحين: «**إن الله ـ تعالى ـ يقول: وعزتي وجلالي لأُخرجن من النار من قال: لا إله إلا الله**»(٢).

= والصحيح أن المراد به المرور على الصراط، وهو منصوب على ظهر جهنم، أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه. وأما من كانت له معصية كبيرة، ومات من غير توبة، فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة، وجعله كالقسم الأول. وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى، ثم يدخله الجنة. فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ماعمل. كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ماعمل. هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة. وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة، وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعي، فإذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ماورد من أحاديث الباب وغيره، فإذا ورد حديث في ظاهره مخالفة وجب تأويله عليها، ليجمع بين نصوص الشرع] انتهى.

(١) أخرجه البزار في مسنده ١/٣ والبيهقي في شعب الإيمان ١/٢٦٨، ٢٦٩ رقم (٩٦) والطبراني في المعجم الصغير رقم (٣٩٤) وقال الهيثمي في المجمع ١/٢٢ رواه البزار والطبراني في الأوسط والصغير ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد/ باب كلام الرب ـ عزّ وجل ـ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٨/٢٠٢ ومسلم في كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها رقم (٣٢٦).

شـروط لا إلـه إلا اللـه

وقالت طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث: أن لا إله إلا الله سببٌ لدخول الجنة والنجاة من النار، ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه، أو لوجود مانع؛ وهذا قول الحسن ووهب ابن منبه وهو الأظهر.

وقال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته: ماأعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: [نعْمَ][1] إن لـ «لا إله إلا الله» شروطاً[2]، فاياك وقذفَ المحصنة!

---

(١) كذا وقع هنا وفي النسخ المطبوعة [نعم العدة].

(٢) لقد أجاد الحافظ أحمد حكمي ـ رحمه الله ـ في نظم عدة أبيات جمع فيها شروط كلمة التوحيد التي لا ينتفع بها صاحبها إلا إذا أتى بها وحققها، وهي في حقيقتها لم تخرج عن جملة أحاديث وردت عن رسول الله ـ ﷺ ـ فقال رحمه الله:

وبشـروطٍ سبعـةٍ قـد قُيّـدَتْ ... وفـي نصـوص الوحـي حـقًّا وَرَدَتْ

فإنــه لــم ينتفــع قائِلُهَــا ... بالنطــقِ إلا حيــثُ يستكمِلُهــا

العلــمُ واليقيــنُ والقبــولُ ... والانقيــادُ فــادْر ما أقــولُ

والصـدقُ والإخـلاصُ والمحبــةُ ... وَفّقَــكَ الله لِمَــا أحبــه

وهذا مأخوذ من أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ القائل: «من قال: **لا إله إلا الله مخلصاً**» وفي رواية «**مستيقناً**» وفي بعضها «**مصدقاً بها قلبه لسانه**» وفي بعضها «**يقولها حقًّا من**

[وروي عنه أنه قال للفرزدق: هذا العمود. فأين الطنب؟][1].

وقيل للحسن: إن ناساً يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة؟ فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدّى حقها وفرضها دخل الجنة.

وقال وهب بن منبه لمن سأله: أَلَيْسَ لا إله إلا الله مِفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن مامن مِفتاح إلا وله أسنانٌ، فإن جئت بمفتاحٍ له أسنان فُتِحَ لك، وإلا لم يُفْتَحْ لك[2].

= قلبه» وفي بعضها «قد ذل بها لسانه واطمأن بها قلبه» كما ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ وسيأتي بعد قليل.

ويمكننا أن نضيف إلى هذه الشروط السابقة السبعة شرطاً ثامناً: ألا وهو الكفر بما يعبد من دون الله، كما ورد عن رسول الله ـ ﷺ ـ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم رقم (٣٧) من كتاب الإيمان. وفيه «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**».

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ: [وهذا من أعظم مايبين معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع التلفظ بها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما **يعبد** من دون الله. فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه، فيالها من مسألة ماأجلها! وياله من بيان **ما** أوضحه! وحجة ماأقطعها للمنازع] تيسير العزيز الحميد ص **١٤٧**.

(١) مابين المعكوفين سقط من كل النسخ المطبوعة ماعدا نسخة (ش).

(٢) في نسخة (ط) أخرجه البخاري تعليقاً **٣/١٠٩** فتح وقد وصله في تاريخه **١/٩٥** وأبو نعيم في الحلية ١/٦٦.

وهذا الحديث: «**إنَّ مفتاح الجنة لا إله إلا الله**»[1]، خرجه الإمام أحمد بإسناد منقطع.

عن معاذ قال: قال لي رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إذا سألك أهلُ اليمن عن مفتاح الجنة؟ فقل: شهادة أن لا إله إلا الله**».

ويدل على صحة هذا القول، أن النبي ـ ﷺ ـ رتَّب دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص. كما في الصحيحين عن أبي أيوب أن رجلاً قال: يارسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة. فقال: «**تعبد الله، لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**»[2].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يارسول الله! دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**» فقال الرجل: والذي نفسي بيده، لا أزيد على هذا شيئاً، ولا أنقص منه. فقال النبي ـ ﷺ ـ: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»[3].

وفي المسند عن بشير بن الخصاصية قال: أتيت النبيَّ ـ ﷺ ـ لأبايعه فاشترط عليّ: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن أقيم

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥/٢٤٢ وهو كما قال المؤلف ـ رحمه الله ـ. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٢١ رواه أحمد والبزار وفيه انقطاع بين شهر ومعاذ. وإسماعيل ابن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة. وهذا منها.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة/ باب وجوب الزكاة ٢/١٠٨، ١٠٩ ومسلم في كتاب الإيمان/ باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة رقم (١٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة/ باب وجوب الزكاة ٢/١٠٩. ومسلم في كتاب الإيمان/ باب الإيمان الذي يدخل به الجنة رقم (١٥).

الصلاة، وأن [أوتي][1] الزكاة، وأن أُحج حجة الإسلام، وأن أصوم رمضان، وأن أجاهد في سبيل الله. فقلت: يارسول الله! أما اثنتين[2] فوالله لا أطيقهما: الجهاد والصدقة[3] فقبض رسول الله ـ ﷺ ـ يده ثم حركها، وقال: «**لا جهاد ولا صدقة، فبم تدخل الجنة إذاً؟**»، قلت: يارسول الله! أنا أبايعك، فبايعته عليهن كلهن[4].

---

(١) كذا وقع هنا وفي بعض النسخ [أؤدي] وهو كما في المسند.

(٢) كذا وقع في المخطوط وفي كل النسخ المطبوعة. وأما في المسند [أما اثنتان].

(٣) في المسند [الجهاد والصدقة، فإنهم زعموا أنه من ولَّى الدبر فقد باء بغضب من الله، فأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسي وكرهت الموت. والصدقة فو الله مالي إلا غُنيمة وعشر ذَوْدٍ هُنَّ رسل أهل وحمولتهم، قال: فقبض...] الخ الحديث.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٥/٢٢٤.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٤٧ رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، واللفظ للطبراني، ورجال أحمد موثقون.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ٢/٨٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وبشر بن الخصاصية من المذكورين في الصحابة من الأنصار ـ رضي الله عنه ـ.

شروط دخول الجنة

ففي هذا الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة، مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج [١].

ونظير هذا أن النبي - ﷺ - قال: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله**» [٢] ففهم عمر، وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك، فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة [٣]، وفهم الصِّدّيق أنه لا يمتنع قتالُه إلا بأداء

---

(١) هذا هو الحق الذي لا مرية فيه، والذي لا يجادل فيه إلا مجادل مغالط. فما بال أقوام يُقْصِرُون دخول الجنة والنجاة من النار على قول كلمة التوحيد لا غير، ولو لم يأت بشروطها ويحقق مقتضياتها، بل ويأتي بنواقضها صراحاً بواحاً عندنا فيه من الله برهان. فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة/ باب وجوب الزكاة ٢ / ١١٠ بلفظ «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله**».

ومسلم في كتاب الإيمان/ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله - ﷺ - رقم (٣٣)، (٣٥)، (٣٦).

(٣) اختار الإمام النووي - رحمه الله - عدم تكفير مانعي الزكاة، واعتبرهم أهل بغي، كما في شرحه على صحيح مسلم ١ / ٢٠٤ وفرق بينهم في الحكم وبين مانعي الزكاة في العصور المتأخرة. فقال - رحمه الله - ١ / ٢٠٥.

[فإن قيل: كيف تأولتَ أمر الطائفة التي منعت الزكاة على الوجه الذي ذهبت إليه، =

حقوقها، لقوله ـ ﷺ ـ: «**فإذا فعلوا ذلك منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها. وقال: الزكاة حق المال**».

وهـذا الـذي فهمـه الصديق قد رواه عن النبي ـ ﷺ ـ جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وأنس وغيرهما، وأنه قال: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**».

= وجعلتهم أهـل بغي؟ وهـل إذا أنكرت طائفة من المسلمين في زماننا فرض الزكاة وامتنعوا من أدائها يكون حكمهم حكم أهل البغي؟ قلنا: لا، فإن من أنكر فرض الزكاة في هذه الأزمان كان كافراً بإجماع المسلمين. والفرق بين هؤلاء وأولئك، أنهم إنـما عذروا لأسباب وأمور لا يحدث مثلها في هذا الزمان. منها قرب العهد بزمان الشريعة الذي كان يقع فيه تبديل الأحكام بالنسخ. ومنها أن القوم كانوا جهالاً بأمور الدين، وكان عهدهم بالإسلام قريبا، فدخلتهم الشبهة فعذروا. فأما اليوم وقد شاع دين الإسلام واستفاض في المسلمين علم وجوب الزكاة حتى عرفها الخاص والعام، واشترك فيه العالم والجاهل، فلا يعذر أحد بتأويل يتأوله في إنكارها. وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئاً مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا علمه منتشراً كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والاغتسال من الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم ونحوها من الأحكام، إلا أن يكون رجلاً حديث عهد بالإسلام، ولا يعرف حدوده، فإنه إذا أنكر شيئاً منها جهلاً به لم يكفر، وكان سبيله سبيل أولئك القوم في بقاء اسم الدين عليه، فأما ماكان الإجماع فيه معلوما من طريق علم الخاصة كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وأن القاتل عمداً لا يرث، وأن للجدة السدس، وما أشبه ذلك من الأحكام. فإن من أنكرها لا يكفر، بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العامة] انتهى.

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**فإن تابوا**[١] **وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**﴾. [التوبة: ٥]. كما دل قولـه تعـالى: ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين**﴾. [التوبة: ١١]. على أن الأخوة في الدين لا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد، فإن التوبة من الشرك لا تحصل إلا بالتوحيد.

ولما قرر أبوبكر هذا للصحابة رجعوا إلى قوله، ورأوه صواباً.

فإذا عُلم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدّى الشهادتين مطلقاً، بل قد يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام، فكذلك عقوبة الآخرة.

وقد ذهب طائفة إلى أن هذه الأحاديث المذكورة أولاً وما في معناها، كانت قبل نزول الفرائض والحدود، منهم الزهري والثوري وغيرهما، وهذا بعيد جدًّا[٢]، فإن كثيراً منها كان بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود، وفي

---

(١) ﴿**فـإن تابوا**﴾ قال جمع غفير من المفسرين عند هذه الآية: أي تابوا من الشرك. وقيل: توبتهم خلع الأوثان وعبادة ربهم. وقيل: فإن رجعوا عما هم عليه من الشرك بالله وجحود نبوة نبيه محمد إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له. وقيل: الرجوع عن الكفر إلى التوحيد.

(٢) قال الإمـام النـووي ـ رحمه الله ـ نقلاً عن القاضي عياض ـ رحمه الله ـ **١/ ٢١٩** [فحكي عن جماعة من السلف ـ رحمهم الله ـ منهم ابن المسيب أن هذا كان قبل نزول الفرائض والأمر والنهي. وقال بعضهم: هي مجملة تحتاج إلى شرح. ومعناه: من قال الكلمة وأدى حقها وفريضتها. وهذا قول الحسن البصري. وقيل: إن ذلك لمن قالها عند الندم ومات على ذلك، وهذا قول البخاري. وهذه التأويلات إنما هي إذا حُمِلَتِ الأحاديث على ظاهرها. وأما إذا أنزلت منازلها فلا يشكل تأويلها على مابينه المحققون. ثم قال **١/ ٢٢٠** وأما ماحكاه عن ابن المسيب وغيره فضعيف باطل، وذلك لأن راوي أحد هذه الأحاديث أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ وهو متأخر الإسلام

بعضها أنه كان في غزوة تبوك، وهي في آخر حياة النبي - ﷺ -.

وهؤلاء منهم من يقول في هذه الأحاديث: إنها منسوخة[1]. ومنهم من يقول: هي محكمة، ولكن ضم إليها شرائط، ويلتفت هذا إلى أن الزيادة على النص: هل هي نسخ أم لا؟ والخلاف في ذلك بين الأصوليين مشهور.

وقد صرَّح الثَّوري وغيره بأنها منسوخة، وأن نسخها الفرائض والحدود، وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والإيضاح، فإن السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيراً، ويكون مقصودهم أن آيات الفرائض والحدود تبين بها توقفُ دخول الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحارم، فصارت تلك النصوص منسوخة، أي: مبيَّنة مفسَّرة، ونصوص الفرائض والحدود ناسخة أي: مفسِّرة لمعنى تلك، موضِّحة لها.

= أسلم عام خيبر سنة سبع بالاتفاق. وكانت أحكام الشريعة مستقرة، وأكثر هذه الواجبات كانت فروضها مستقرة]. انتهى

(١) قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في تفسيره فتح القدير ١٩٧/١ [وقال ابن جرير ﴿مانسخ﴾ ماننقل من حكم آية إلى غيره، فنبدله ونغيره. وذلك أن نحول الحلال حراماً والحرام حلالاً، والمباح محظوراً، والمحظور مباحاً. ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي والحظر والإطلاق والمنع والإباحة. فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ] انتهى.

قلت: وعلى هذا فدعوى النسخ هنا غير مقبولة وغير صحيحة، لأن الأحاديث هنا متعلقة بالأخبار وليست متعلقة بالأمر والنهي ولا الحرام ولا الحلال.

فهم النصوص المطلقة في ضوء النصوص المقيدة

وقالت طائفة: تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيَّدة في أحاديث أُخر، ففي بعضها: «**من قال لا إله إلا الله مُخلصاً**»(١)، وفي بعضها: «**مُستيقناً**»(٢)، وفي بعضها: «**يصدق قلبه لسانه**»(٣). وفي بعضها: «**يقولها**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥/٢٣٦ عن عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: أنا من شهد معاذاً حين حضرته الوفاة. يقول: اكشفوا عني سجف القبة أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ـ ﷺ ـ. وقال مرة: أخبركم بشيء سمعته من رسول الله ـ ﷺ ـ لم يمنعني أن أحدثكموه الآن إلا أن تتكلوا. سمعته يقول: «**من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه أو يقينا من قلبه، لم يدخل النار. أو دخل الجنة**» وقال مرة: «**دخل الجنة ولم تمسه النار**».
قال الهيثمي في المجمع ١/٢٢ رواه البزار ورجاله ثقات، إلا أن من روى عنهما البزار لم أقف لهما على ترجمة.. وكذلك أخرجه الحميدي في مسنده ١/١٨١ رقم (٣٦٩) والطبراني في الكبير رقم (٦٣) وابن حبان كما في موارد الظمآن رقم (٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم (٥٢) (٣١) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**ياأباهريرة!**» وأعطاني نعليه. قال: «**اذهب بنعليّ هاتين. فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً به قلبه فبشره بالجنة**». وكذلك البيهقي في الشعب رقم (٥).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٣٠٧ عن أبي هريرة أنه سأل رسول الله ـ ﷺ ـ: ماذا ردَّ إليك ربك في الشفاعة؟ فقال: «**والذي نفس محمد بيده! لقد ظننت أنك أول من**=

حقًّا من قلبه»[1]، وفي بعضها: **«قد ذل بها لسانه، واطمأن بها قلبه»**[2].
وهذا كله إشارة إلى عمل القلب، وتحققه بمعنى الشهادتين، فتحققه

= **يسألني عن ذلك من أمتي، لما رأيت من حرصك على العلم. والذي نفس محمد بيده! مايهمني من انقصافهم على أبواب الجنة أهم عندي من تمام شفاعتي. وشفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه»**.
قال الهيثمي في المجمع ١٠/٤٠٧ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير معاوية بن معتب وهو ثقة.

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/٦٣ عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: **«إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حُرِّم على النار»** فقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: أنا أحدثك ماهي؟ هي كلمة الإخلاص التي أعز الله تبارك وتعالى بها محمداً ـ ﷺ ـ وأصحابه وهي كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله ـ ﷺ ـ عمه أباطالب عند الموت: شهادة أن لا إله إلا الله.
قال الهيثمي في المجمع ١/٢٠ قلت: لعمر حديث رواه ابن ماجه، بغير هذا السياق، ورجاله ثقات، رواه أحمد.
وهو عند ابن حبان كما في موارد الظمآن رقم (١).
وقال الحاكم في المستدرك ١/٧٢ هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ ولا بهذا الإسناد.

(٢) عن عبدالله بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **«من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذل بها لسانه، واطمأن بها قلبه، لم تطعمه النار»**.
أخرجه البيهقي في الشعب رقم (٩).
قال الهيثمي في المجمع ١/٢٦ عن سعد بن عبادة قال: سمعت النبيَّ ـ ﷺ ـ يقول: **«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له أطاع بها قلبه، وذل بها لسانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حرمه الله ـ عز وجل ـ على النار»**.
رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم والأكثر على تضعيفه.

بقول: لا إله إلا الله أن لا يأله القلب غير الله حبًّا ورجاءً، وخوفاً، وتوكلاً واستعانة، وخضوعاً وإنابة، وطلباً. وتحققه بأن محمداً رسول الله ألا يعبد الله بغير ماشرعه الله على لسان محمد - ﷺ -.

وقد جاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي - ﷺ - صريحا أنه قال: «**من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة**». قيل: ماإخلاصها يارسول الله؟!: قال: «**أن تحجزك عن كل ماحرم الله عليك**»[1].

وهــذا يُروى من حديث أنس بن مالـك، وزيد بن أرقم، ولكن إسنادهما لا يصح. وجاء أيضاً من مراسيل الحسن نحوه.

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد: لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله، والإله الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عزّ وجل، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله، ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب مافيه من ذلك.

---

(١) أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه ١٢/٦٤ عن أنس قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة**»، قالوا يارسول الله! فما إخلاصها؟ قال: «**تحجزكم عن كل ماحُرِّم عليكم**».

قال الهيثمي في المجمع ١/٢٣ عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنـة**» قيل: وما إخلاصها؟ قال: «**أن تحجزه عن محارم الله**». رواه الطبراني في الأوسط والكبير إلا أنه قال في الكبير: قال رسـول الله - ﷺ -: «**إخـلاصـه أن تحجـزه عما حرم الله عليه**». وفي إسناده محمد بن عبدالرحمن بن غزوان وهو وضاع.

الشـــرك والكفـــر لـــه أصـــل وفـــروع

وهـذا كله من فروع الشـرك[١]، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشـرك على كثير مـن المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه، أو التوكل عليه والعمل لأجله، كما ورد في إطلاق الشرك على الرياء[٢]، وعلى الحلف بغير

(١) قال العلامة ابن القيم الجوزية ـ رحمه الله ـ في كتاب الصلاة ص ٢٤:
[وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر. والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر. والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، وتركها من شعب الكفر، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان، والحكم بغير ماأنزل الله من شعب الكفر. والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.
وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية. وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية. ومن شعب الإيمان القـولية شعبـة يوجب زوالهـا زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية مايوجب زوالها زوال الإيمان. وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية. فكما يكفر بالاتيان بكلمة الكفر اختياراً وهي شعبة من شعب الكفر. فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل]. انتهى.

(٢) عن محمود بن لبيد أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**إن أخوف ماأخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالـوا: وما الشرك الأصغر يارسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله ـ عز وجل ـ لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا، هل تجدون عندهم جزاء**». =

الله[1]، وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه، وعلى من سوَّى بين الله وبين المخلوق في المشيئة، مثل أن يقول: ماشاء الله وشاء فلان[2]، وكذا قوله: مالي إلا الله وأنت؛ وكذلك مايقدح في التوكل[3] وتفرد الله بالنفع

أخرجه أحمد في مسنده ٥/٤٢٨ وقال الهيثمي في المجمع ١٠/٢٢٥ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن شبيب بن خالد وهو ثقة.

(١) جاء رجل إلى عبدالله بن عمر فقال: احلف بالكعبة. فقال احلف برب الكعبة، فإن عمر كان يحلف بأبيه، فقال له النبي ـ ﷺ ـ: «**لا تحلف بأبيك، فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك**».

أخرجه أحمد في المسند ٢/١٢٥ وأبوداود في كتاب الأيمان والنذور/ باب في كراهية الحلف بالآبـاء رقم (٣٢٥١) والترمذي في كتاب النذور والأيمان/ باب ماجاء في كراهية الحلف بغير الله رقم (١٥٣٥) وعند الحاكم «فقد كفر» ١/١٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجا بمثل هذا الإسناد، وخرجاه في الكتاب، وليس له علة، ولم يخرجاه.

(٢) عن حذيفة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**لاتقولوا: ماشاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ماشاء الله ثم ماشاء فلان**».

أخرجه أبوداود في كتاب الأدب/ باب لا يقال: خبثت نفسي رقم (٤٩٨٠) وأحمد في مسنده ٥/٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨.

وعند الدارمي «**لا تقولوا: ماشاء الله وشاء محمد. ولكن قولوا: ماشاء الله، ثم ماشاء محمد**» في كتاب الاستئذان/ باب في النهي عن أن يقول ماشاء الله وشاء فلان رقم (٢٧٠٢).

(٣) كذا وقع في مخطوطتنا [التوكل] وفي كل النسخ المطبوعة [التوحيد].

والضر: كالطيرة[1]، والرُّقى المكروهة[2]، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون[3]، وكذلك اتّباع هوى النفس فيما نهى الله عنه، قادحٌ في تمام التوحيد وكماله.

ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها من اتباع هوى

---

(١) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**» أخرجه البخاري في كتاب الطب باب لا هامة ٧/٢٧.
ومسلم في كتاب السلام/ باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح رقم (٢٢٢٠).

(٢) عن عبدالله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتِّوَلَةَ شرك**» قالت زينب زوجة عبدالله: لِمَ تقول هذا؟ والله لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيني. فإذا رقاني سكنت. فقال عبدالله: إنما ذاك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده. فإذا رقاها كفَّ عنها. إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**أذهب البأس ربَّ الناس، اشف أنت الشافي. لا شفاء إلا شفاؤك. شفاء لا يغادر سقما**».
أخرجه أبو داود في كتاب الطب/ باب في تعليق التمائم رقم (٣٨٨٣) وابن ماجه في كتاب الطب/ باب تعليق التمائم رقم (٣٥٣٠).

(٣) عن أبي هريرة والحسن عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ـ ﷺ ـ**».
أخرجه أحمد في مسنده ٢/٤٢٩ وكذلك الحاكم في المستدرك ١/٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما جميعاً من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وصححه الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ في تعليقه على سنن الترمذي ١/٢٤٤ وصححه الشيخ الألباني ـ حفظه الله ـ في صحيح الجامع رقم (٥٩٣٩).

النفس بما هو كفر وشرك؛ كقتال المسلم[1]، ومن أتى حائضاً، أو امرأة في دبرها[2]، ومن شرب الخمر في المرة الرابعة[3]، وإن كان ذلك لا يخرجه عن الملّة بالكلية.

---

(١) عن عبدالله قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»
أخرجه البخاري في كتاب الأدب/ باب ماينهى عن السباب واللعن ٨٤/٧ ومسلم في كتاب الإيمان/ باب بيان قول النبي ـ ﷺ ـ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر رقم (١١٦).

(٢) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً: فقد كفر بما أنزل على محمد**».
أخرجه الترمذي في كتاب الطهارة/ باب ماجاء في كراهية إتيان الحائض. رقم (١٣٥).
وأحمد في مسنده ٤٠٨/٢ بلفظ: «**فقد بريء مما أنزل الله على محمد عليه الصلاة والسلام**» وفي ٤٧٦/٢ وأبوداود في كتاب الطب/ باب في الكهان رقم (٣٩٠٤) والدارمي في كتاب الوضوء والصلاة/ باب من أتى امرأة في دبرها رقم (١١٤١) وابن الجارود في المنتقى رقم (١٠٧).
وصححه الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ في تعليقه على سنن الترمذي ٢٤٣/١، ٢٤٤ وصححه الشيخ الألباني ـ حفظه الله ـ في صحيح الجامع رقم (٥٩٤٢).

(٣) عن معاوية قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**من شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد في الرابعة فاقتلوه**».
أخرجه الترمذي في كتاب الحدود/ باب ماجاء في شرب الخمر رقم (١٤٤٤) وأبوداود في كتاب الحدود/ باب إذا تتابع في شرب الخمر رقم (٤٤٨٤) و (٤٤٨٥) وابن ماجه في كتاب الحدود/ باب من شرب الخمر مراراً رقم (٢٥٧٢) و (٢٥٧٣) وصححه الترمذي وكذلك الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٣٠٩).
واختار الإمام الترمذي نسخ القتل، وقال: ثم أُتي النبي ـ ﷺ ـ بعد ذلك برجل =

ولهذا قال السلف: كُفر دون كفر، وشرك دون شرك(١).

وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتَّبَع، قال ـ تعالى ـ: ﴿أفرأيت من

= قد شرب الخمر في الرابعة ولم يقتله، وكذلك روى الزهري عن قبيصة بن ذويب عن النبي ـ ﷺ ـ نحو هذا. قال: فرفع القتل وكانت رخصة. والعمل على هذا الحديث عند عامة أهل العلم، لا نعلم بينهم خلافاً في ذلك في القديم والحديث.

(١) قلت: هذا حق لا مرية فيه. وفيه رد على الخوارج الذين يكفرون المسلمين بذنوبهم استناداً إلى مثل تلك الأحاديث، التي أُطْلِقَ فيها على بعض المعاصي أنها كفر وشرك وأُوتوا من قبل ضآلة فهمهم وعدم فقههم واعتبروا هذه الذنوب والمعاصي والكبائر كفراً مخرجاً من الملة، ولم يلتفتوا إلى تقسيم العلماء الكفر والشرك والنفاق والفسق إلى أكبر مخرج من الملة وأصغر غير مخرج من الملة، فوقعوا في تلك الهوة، التي هي مزلة أقدام، وتجرءوا على الله فقالوا غير الحق وتجرءوا على عباد الله فكفّروهم واستباحوا دماءهم وأعراضهم وأموالهم، فكان من شأنهم ماحكاه التاريخ عنهم من تشويه صورة الإسلام وتبديل معالمه.

وكما يقال: لكل فعل رد فعل مضاد له، فنشأ مقابل ذلك فكر الإرجاء، الذي تسلل إلى الأمة عبر عصور طويلة في غياب الحكم الإسلامي الراشد، حتى تسيّد في الساحة، ورفع رأسه، وأصبحت له الكلمة والتوجيه، وصارت له المؤلفات والدعاة والدعوات، حتى حسبه أكثر الخلائق أنه الدين الصحيح، وأنه الحق الصراح. وأصبح أصحابه هم العلماء والمربين والفقهاء والموجهين حتى غدا الحق غريباً كما كان غريبا. وأصبح عندهم الحكم بغير ماأنزل الله وتبديل شرائع الدين وتحكيم القوانين الوضعية الجاهلية كفر دون كفر وشرك دون شرك وفسق دون فسق، وكذلك أصبحت موالاة أعداء الله من اليهود والنصارى والشيوعيين والملحدين، وكذلك أصبح النذر والطواف والذبح للقبور ودعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلب المدد من الأموات كفر دون كفر وشرك دون شرك، وفي أحسن الأحوال كفر أكبر، ولكن أصحابه لا يكفرون، لأنهم جهال. فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اتخذ إلهه هواه﴾. [الجاثية: ٢٣] وقال الحسن: هو الذي لا يهوى شيئاً إلا ركبه[١]. وقال قتادة: هو الذي كلما هوى شيئاً ركبه، وكلما اشتهى شيئاً أتاهُ. لا يحجُزه عن ذلك ورعٌ ولا تقوى[٢].

ورُوِيَ من حديث أبي أمامة مرفوعاً بإسناد ضعيف: «**ماتحت ظل السماء إلَهٌ يعبد أعظم عند الله من هوى مُتَّبَعٌ**»[٣].

وفي حديث آخر: «**لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن أصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم، فإذا فعلوا ذلك رُدَّت عليهم، وقيل لهم: كذبتم**»[٤].

ويشهد لذلك الحديث الصحيح عن النبي ـ ﷺ ـ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة،**

---

(١) عزاه السيوطي في تفسيره الدر المنثور ٦/ ٢٦٠ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٢) عزاه السيوطي في تفسيره الدر المنثور ٦/ ٢٦٠ إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٠ إلى الطبراني.
وقال الهيثمي في المجمع ١/ ١٩٣ رواه الطبراني في الكبير، وفيه الحسن بن دينار، وهو متروك الحديث.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده بلفظ قريب منه رقم (٤٠٣٤) والحافظ ابن حجر في المطالب العالية رقم (٣٢٧٤) والهندي في كنز العمال رقم (٢٢١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٨٠ رواه البزار وفيه عبدالله بن محمد بن عجلان وهو ضعيف جدًا. وذكر الهيثمي رواية لهذا الحديث من طريق آخر بلفظ قريب منه وقال: رواه البزار وإسناده حسن.

تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»[١].

فدل هذا على أن كل من أحب شيئاً وأطـاعـه، وكان غاية قصده ومطلوبه، ووالى لأجله، وعادى لأجله، فهو عبده، وذلك الشيء معبوده وإلهه.

---

(١) أخـرجـه البخـاري في كتاب الجهاد والسير/ باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ٣/٢٢٣ وابن ماجه في كتاب الزهد/ باب في المكثرين رقم (٤١٣٦).

طاعة الشيطان تقدح في توحيد الرحمن

ويدل عليه أيضاً أن الله ـ تعالى ـ سمَّى طاعة الشيطان في معصيةٍ عبادةً للشيطان، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان﴾. [يس: ٦٠] وقال حاكياً عن خليله إبراهيم أنه قال لأبيه: ﴿ياأبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيًّا﴾. [مريم: ٤٤] فمن لم يحقق عبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته له، ولم يخلُص من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبودية الرحمن، وهم الذين قال فيهم: ﴿إنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾. [الحجر: ٤٢]. فهم الذين حققوا قول: «لا إله إلا الله»، وأخلصوا في قولها، وصدقوا قولهم بفعلهم، فلم يلتفتوا إلى غير الله، محبةً ورجاءً وخشية وطاعة وتوكلاً، وهم الذين صدقوا في قول: «لا إله إلا الله» وهم عباد الله حقًّا.

فأما من قال «لا إله إلا الله» بلسانه، ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذّب فعله قوله[1]، ونقص من كمال توحيده بقدر

---

(١) ألا ترى من يطوف بالقبور، ويقدم لها القرابين والنذور، ويذبح لها الذبائح، ويستغيث بالمقبور، ويحل بساحته، ويسكب على عتبته دموع الذل والانكسار، آملاً أن يفرج كرباته، ويقضي دينه، ويشفي مريضه، وهو يقول لا إله إلا الله. فما قيمة هذه الكلمة وهو يهدم أركانها، ويدكدك أصولها، وصارت في حلقه حروفاً جوفاء وكلمات لا رصيد لها، ولا أثر لها في واقع حياته. ألا تراه قد كذّب بأفعاله ماينطق بلسانه؟!.

=

معصية الله في طاعة الشيطان والهوى[1] ، ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ . [القصص: ٥٠] **﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ .** [ص: ٢٦].

= ألا ترى من ينحي حكم الله وشريعة الله عن الحكم والتحاكم بين الناس، ويأتي لهم بزبالة الأفكار، وسقط المتاع من قوانين وضعية جاهلية كفرية، ما أنزل الله بها من سلطان، ويجعلها مصدراً للحكم والتحاكم بين الناس، ويعتبر من يخرج عليها خارجاً عن الشرعية، يعاقب على ذلك، ويتهم ويهدر دمه وماله وعرضه، حتى صارت شرعاً وديناً غير شرع الله ودين الله، ويحل ماحرم الله، ويحرم ماأحل الله، ويبيح المحظور، ويحظر المباح. وهو مع ذلك يقول: لا إله إلا الله. ليخدِّر بها المشاعر، ويلبِّس بها على العوام. ألا تراه قد كذَّب بفعله القبيح هذا مانطق به بلسانه؟!.

ألا ترى من يوالي اليهود والنصارى أعداء الله، ويقربهم، ويودهم، ويعادي أولياء الله، ويبعدهم ويبغضهم. وهو يقول: لا إله إلا الله، ليل نهار، كلمة لا وزن لها في حياته، ولا معنى لها، ولا مفهوم لها. ألا تراه وهو يقول هذه الكلمة، ويفعل مايفعله، قد كذَّب بفعله ذاك مانطقت به شفتاه؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) ظن كثير من الناس أن مايفعله القبوريون من شركيات ووثنيات تنقص الإيمان وتقدح في كمال التوحيد، وكذلك مايفعله المشرِّعون والحكام الذين يحكمون بشرائع كفرية وقوانين وضعية، ومن يوالون اليهود والنصارى وأصناف الكفرة المشركين. ظن كثير من الناس أن هذه الأعمال تنقص الإيمان لا غير. بل الحقيقة أن هذه الأعمال تنقض الإيمان من الأساس، وتهدم بنيان الدين كله، ولا يبقى للإسلام أصل ولا فرع.

قال أبوعثمان إسماعيل الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٦٦، ٦٧.

[وأخبرنا أبو عمرو الحيري حدثنا محمد بن يحيى، ومحمد بن إدريس: سمعت الحميدي يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: الإيمان قول وعمل. يزيد وينقص. فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: ياأبامحمد تقول: ينقص! فقال: اسكت ياصبي، بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء] انتهى.

فيا هذا كن عبد الله لا عبد الهوى، فإن الهوى يهوي بصاحبه في النار: ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾. [يوسف: ٣٩]. «**تعس عبد الدرهم! تعس عبد الدينار**»! والله ماينجو غداً من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله وحده، ولم يلتفت معه إلى شيء من الأغيار.

من علم أن إلهه ومعبوده فرد، فليُفْرده بالعبودية ﴿**ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً**﴾. [الكهف: ١١٠].

كان بعض العارفين يتكلم على أصحابه، على رأس جبل، فقال في كلامه: لا ينال أحد مراده حتى ينفرد فرداً بفرد، فانزعج واضطرب، حتى رأى أصحابُه أن الصخور قد تدكدكت، وبقي على ذلك ساعات، فلما أفاق فكأنه نُشر من قبر.

قوله: «لا إله إلا الله» تقتضي أن لا يحب سواه، فإن الإله هو الذي يطاع، محبةً وخوفاً ورجاءً. ومن تمام محبته محبةُ مايحبه، وكراهة مايكرهه، فمن أحب شيئاً مما يكره الله، أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيده ولا صدقه في قول: لا إله إلا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ماكرهه مما يحبه الله، وما أحبه مما يكرهه. قال تعالى: ﴿**ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم**﴾. [محمد: ٢٨].

دلالة محبة الله عز وجل

قال الليث عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿لا يُشركون بي شيئاً﴾(١). [النور: ٥٥] قال: لا تحبوا(٢) غيري.

وفي صحيح الحاكم(٣) عن عائشة عن النبي - ﷺ - قال: «**الشرك أخفى(٤) من دبيب الذرِّ على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن تُحب على شيءٍ من الجَوْر، أو تبغض على شيءٍ من العدل، وهل الدين إلا الحُب والبغض**»؟. قال الله - تعالى -: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فأتبعوني يحببكم الله**﴾(٥). [آل عمران: ٣١] وهذا نص في أن محبة مايكرهه الله وبغض مايحبه

---

(١) في مخطوطتنا: [لا تشركوا بي شيئاً]. وهو تصحيف.

(٢) في كل النسخ المطبوعة: [لا يحبون].

(٣) الصواب أن يقال: مستدرك الحاكم. لأن فيه أحاديث ضعيفة وبعض الموضوعات وهذا تسامح من المؤلف رحمه الله.

(٤) كذا وقع هنا وفي جميع النسخ المطبوعة [الشرك في هذه الأمة أخفى..] وكذلك في المستدرك ٢/٢٩١ ليس فيه [في هذه الأمة].

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٩١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي في التلخيص بقوله: عبدالأعلى. قال الدارقطني: ليس بثقة. فالحديث ضعيف ولكن الطرف الأول منه ورد من عدة طرق وإن كانت ضعيفة إلا أنها ترتقي بالحديث إلى درجة الحسن. انظر مجمع الزوائد ١٠/٢٢٦، ٢٢٧. وأحمد في مسنده ٤/٤٠٣، ٤١٧ وأبويعلى في مسنده رقم (٥٨) و (٦٠) و (٦١) =

متابعة للهوى، والموالاة على ذلك والمعاداة عليه من الشرك الخفي .

وقال الحسن : اعلمْ أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته!

وسئل ذو النون : متى أُحبُّ ربي؟ قال : إذا كان مايبغضه عندك أمرَّ من الصبر! وقال بشر بن السري : ليس من أعلام الحب أن تحب مايبغضه حبيبُك!

وقال أبو يعقوب النَّهْرجَوْرِي : كل من ادعى محبة الله ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة .

وقال يحيى بن معاذ: ليس بصادقٍ من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده .

وقال رويم : المحبة والموافقة في جميع الأحوال، وأنشد .

وَلَوْ قُلْتَ لي : مُتْ . متُّ سَمْعاً وطَاعَة
وَقُلْتُ لِدَاعيْ المَوْتِ : أهْلاً ومَرْحَباً

ويشهد لهذا المعنى أيضاً قوله ـ تعالى ـ: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ . [آل عمران : ٣١].

قال الحسن : قال أصحاب النبي ـ ﷺ ـ: يارسول الله إنا نحب ربنا حبًّا شديداً؛ فأحبَّ الله أن يجعل لحبه علماً، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية[1] .

= وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ١٧٩ إلى ابن أبي حاتم . وأبو نعيم في الحلية والحاكم وكذلك الشوكاني في فتح القدير ١/ ٥٠٤ .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ١٧٧ ، ١٧٨ إلى ابن جرير وابن المنذر عن الحسن البصري . وعزاه أيضاً إلى ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق عباد بن منصور. وعزاه أيضاً إلى الحكيم الترمذي عن يحيى بن أبي كثير. وإلى ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج . وكذلك الشوكاني في فتح القدير ١/ ٥٠٣ .

ومن هنا يُعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله، فإنه إذا علم أنه لا تتم محبة الله إلا بمحبة مايحبه وكراهة مايكرهه. فلا طريق إلى معرفة مايحبه وما يكرهه إلا من جهة محمد المبلّغ عن الله مايحبه ومايكرهه[1]، فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله - ﷺ - وتصديقه ومتابعته.

ولهذا قرن الله بين محبته ومحبة رسوله في قوله: ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم**﴾ إلى قوله: ﴿**أحب إليكم من الله ورسوله**﴾. [التوبة: ٢٤] كما قرن بين طاعته وطاعة رسوله - ﷺ - في مواضع كثيرة.

وقال - ﷺ -: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار**»[2].

---

(١) كذا وقع في مخطوطتنا وفي كل النسخ المطبوعة [مايحبه ومايكرهه باتباع ماأمر به واجتناب مانهى عنه].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان/ باب حلاوة الإيمان ١/ ٩ وفي كتاب الإكراه/ باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ٨/ ٥٦ ومسلم في كتاب الإيمان/ باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم (٦٧) و (٦٨).

تـلازم الظاهـر والباطـن

هذه حال السحرة لما سكنت المحبة قلوبهم، سمحوا ببذل نفوسهم، قالـوا لفرعون: ﴿اقض ماأنت قاض﴾ ومتى تمكنت المحبة في القلب لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب[١].

(١) لقد تقرر في الأصول وصار من عُمَدِ الشريعة وقواعدها المعتبرة تلازم الظاهر والباطن.
فقال الشاطبي ـ رحمه الله ـ في الموافقات ١/٢٣٣ [ومن هنا جعلت الأعمال الظاهرة في الشرع دليلاً على مافي الباطن. فإن كان الظاهر منخرماً حكم على الباطن بذلك. أو مستقيما حكم على الباطن بذلك أيضاً.
وهو أصل عام في الفقه وسائر أحكام العاديات والتجريبات. بل الالتفات إليها من هذا الوجه نافع في جملة الشريعة جدًّا. والأدلة على صحته كثيرة جدًّا. وكفى بذلك عمدة في أنه الحاكم بإيمان المؤمن وكفر الكافر وطاعة المطيع وعدالة العدل وجرحة المجرح. وبذلك تنعقد العقود وترتبط المواثيق إلى غير ذلك من الأمور. بل هو كلية التشريع وعمدة التكليف بالنسبة إلى إقامة الشعائر الإسلامية الخاصة والعامة] انتهى.
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مجموع الفتاوى ٧/١٨٧ [فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علما وعملاً قلبيًّا لزم ضرورة الجسد بالقول الظاهر والعمـل بالإيمان المـطلق. كما قال أئمـة أهـل الحديث: قول وعمل. قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر. والظاهر تابع للباطن، لازم له. متى صلح الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلي العابث: =

وهذا هو معنى الحديث الإلهي الذي خرَّجه البخاري في صحيحه، وفيه: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**»[(1)] وفي بعض الروايات: «**فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي**».

والمعنى أن محبة الله إذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى مراضي الرب، وصارت النفس حينئذ مطمئنة [ففنيت][(2)] بإرادة مولاها عن مرادها وهواها.

ياهذا! اعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه، فمن عبده لمراده منه فهو

= لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه. فلابد في إيمان القلب من حب الله ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما]. انتهى.

وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في كتاب الصلاة ص ٢٥:

[فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح. إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت. ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الإيمان. فإن الإيمان ليس مجرد التصديق - كما تقدم بيانه - وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد] انتهى.

وقال العلامة ابن رجب الحنبلي في كتاب جامع العلوم والحكم ص ٦٥، ٦٦:

[فإن أعمال الجوارح لا تستقيم إلا باستقامة القلب، ومعنى استقامة القلب أن يكون ممتلئاً من محبة الله تعالى ومحبة طاعته وكراهة معصيته... ثم قال: وحركات الجسد تابعة لحركة القلب وإرادته. فإن كانت حركته وإرادته لله وحده فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله. وإن كانت حركة القلب وإرادته لغير الله فسد وفسدت حركات الجسد بحسب فساد القلب] انتهى.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق/ باب التواضع ٧/ ١٩٠.

(٢) كذا وقع في مخطوطتنا وفي نسخة ش وسقطت من كل النسخ المطبوعة.

ممن يعبد الله على حرف، إن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة، ومتى قويت المعرفة والمحبة لم يُرد صاحبُها إلا مايريده مولاه.

وفي بعض الكتب السالفة: من أحب الله لم يكن شيءٌ عنده آثر من رضاه، ومن أحبَّ الدنيا لم يكن شيء عنده آثر من هوى نفسه.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن الحسن قال: مانظرت ببصري، ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت على قدمي، حتى أنظر على طاعة أو معصية، فإذا كانت طاعة تقدمتُ، وإن كانت معصية تأخرت.

هذا حال خَوَاصّ المحبين[1]، فافهموا ـ رحمكم الله ـ هذا، فإنه: من دقائق أسرار التوحيد الغامضة. وإلى هذا المقام أشار ـ ﷺ ـ في خطبته لما قدم المدينة حيث قال: «**أحبوا الله من كل قلوبكم**»[2]. وقد ذكرها ابن إسحاق وغيره.

فإن من امتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه فراغ لشيء من إرادات النفس والهوى، وإلى ذلك أشار القائل بقوله:

أروحُ وقد ختمتَ على فؤادي ... بحبِّك أن يَحُلَّ به سواكا
فلو أني استطعتُ غضضتُ طَرْفي ... فلم أنْظُر به حتى أراكا!
أحبك لا ببعضي بل بكلِّي ... وإن لم يُبقِ حُبُّك لي حِرَاكا
وفي الأحبابِ مخصوص بوجدٍ ... وآخر يدَّعي معه اشتراكا
إذا اشتبكتْ دموعٌ في خدودٍ ... تبيَّن من بكى ممن تباكى!

---

(١) كذا وقع في مخطوطتنا وفي كل النسخ المطبوعة [المحبين الصادقين].

(٢) ذكر ذلك ابن هشام في السيرة النبوية ٢/١٤٦، ١٤٧ بدون سند وكذلك أورده الإمام البيهقي في دلائل النبوة ٢/٥٢٤، ٥٢٥.

فأمــا مــن بكــى فيــذوبُ وجــداً ... وينطــقُ بالهــوى مــن قــد تشاكــى

متى بقي للمحب من نفسه حظ فما بيده من المحبة إلا الدعوى، إنما المحب من يفنى عن نفسه كله، ويبقى بحبيبه، «فبي يسمع، وبي يبصر».

القلب بيت الرب: وفي الإسرائيليات يقول الله: «ما وسعني سمائي[٢] ولا أرضي. ولكن وسعني قلبُ عبدي المؤمن»[١]. فمتى كان القلب فيه غير الله، فالله أغنى الأغنياء عن الشرك[٢]، وهو لا يرضى بمزاحمة أصنام الهوى.

الحق ـ تعالى ـ غيور، يغار على عبده المؤمن أن يسكن في قلبه سواه، وأن يكون فيه شيء لا يرضاه.

أردناكــم صِرْفــاً فلمــا مَزَجْتُــم ... بعُدْتُــم بمقــدارِ التفاتكــم عنَّــا

وقلنا لكم: لا تُسْكِنُوا القلبَ غَيْرَنَا ... فأَسْكَنْتُــم الأغيــار مــا أنتــم مِنَّــا

---

(١) كذا وقع في مخطوطتنا وجميع النسخ المطبوعة ماعدا نسخة ش ففيها [سمواتي].

(١) لقد أجاء المؤلف ـ رحمه الله ـ عندما عزا هذا الأثر إلى الإسرائيليات. فقد اشتهر بين كثير من العوام والصوفية أن هذا حديث مرفوع، وهو ليس كذلك، بل لا أصل له فقد سئل شيخ الإسلام عنه فأجاب رحمه الله: [الحمد لله، هذا ماذكروه في الإسرائيليات ليس له إسناد معروف عن النبي ـ ﷺ ـ. ومعناه: وسع قلبه محبتي ومعرفتي. وما يروى: القلب بيت الرب. هذا من جنس الأول. فإن القلب بيت الإيمان بالله تعالى ومعرفته ومحبته] انتهى انظر مجموع الفتاوى ١٨/ ١٢٢. وقال كلاماً قريباً من ذلك في ص ٣٧٦.

(٢) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**».
أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق/ باب من أشرك في عمله غير الله رقم (٢٩٨٥) وأحمد في مسنده ٢/ ٣٠١، ٤٣٥ وابن ماجه في كتاب الزهد/ باب الرياء والسمعة رقم (٤٢٠٢) وأبو يعلى في مسنده رقم (٦٥٥٢).

النجاة لا تكون إلا لصاحب القلب السليم

لا ينجو غداً إلا من لقي الله بقلب سليم، ليس فيه سواه. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون* إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾. [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

القلب السليم: هو الطاهر من أدناس المخالفات، فأما المتلطخ بشيءٍ من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدس[١] إلا بعد أن يطهر في كير العذاب، فإذا زال منه الخبث صلح حينئذ للمجاورة[٢]. «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً**»[٣].

فأما القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من أول الأمر: ﴿**سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين**﴾. [الزمر: ٧٣] ﴿**الذين تتوفاهم الملائكة طيبين**

---

(١) كذا وقع في مخطوطتنا وفي جميع النسخ المطبوعة [القدوس].

(٢) أما دنس الكفر والشرك إن مات عليه صاحبه لا تنفع فيه النار حتى يتطهر منه فيظل خالداً مخلداً في نار الجحيم. أعاذني الله وإياكم منها ومن حرها وسمومها وعذابها ووقاني وإياكم شرورها.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة/ باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها رقم (١٠١٥) وأحمد في مسنده ٢/٣٢٨.
والترمذي في كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة البقرة رقم (٢٩٨٩) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

يقولون سلامٌ عليكم ادخلوا الجنة﴾ . [النحل: ٣٢].

ومن لم يُحرق اليوم قلبَه بنارِ الأسف على ماسلف، أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب، فنار جهنم له أشدَ حرًّا.

مايحتاج إلى التطهر بنار جهنم إلا من لم يُكمل تحقيق التوحيد والقيام بحقوقه.

احذروا الرياء

أول من تُسْعَر به النار من الموحدين العباد المراءون بأعمالهم؛ وأولهم العالم والمجاهد والمتصدق للرياء(١)، لأن يسير الرياء شرك.

ماينظر المرائي إلى الخلق في عمله إلا لجهله بعظمة الخالق.

---

(١) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إن أول الناس يُقضىٰ يوم القيامة عليه: رجل استشهد. فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل. ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهه حتى أُلْقِيَ في النار. ورجل تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن. فأتي به. فعرّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلّمته وقرأت القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم. وقرأت القرآن ليقال هو قاريء. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله. فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ماتركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت. ولكنك فعلت ليقال: هو جواد. فقد قيل: ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار».

أخرجه مسلم في كتاب الإمارة/ باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار رقم (١٩٠٥) والترمذي في كتاب الزهد/ باب ماجاء في الرياء والسمعة رقم (٢٣٨٢).

وقول المؤلف ـ رحمه الله ـ [أول من تسعر به النار من الموحدين] دلالة على أنهم مسلمون وليسوا كفاراً، ولكنهم يعذبون في النار على عدم إخلاصهم في هذه الأعمال. وهذا اختيار الشاطبي رحمه الله كما ذكره في الموافقات وغيره من العلماء.

المرائي يُزوِّر التواقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل[١] لنفسه، ويوهم أنه من خاصة الملك، وهو مايعرف الملك بالكلية.

نقش المرائي على الدرهم الزائف اسم الملك ليروج، والبهرج[٢] مايجوز إلا على غير الناقد.

وبعد أهل الرياء يدخل النار أصحاب الشهوات، وعبيد الهوى، الذين أطاعوا هواهم، وعصوا مولاهم، فأما عبيد الله حقًّا، فيقال لهم: **﴿ياأيتها النفس المطمئنة* ارجعي إلى ربك راضية مرضية* فادخلي في عبادي* وادخلي جنتي﴾**. [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

نار جهنم تنطفيء بنور إيمان الموحدين.

في الحديث: «**تقول النار للمؤمن: جُزْ[٣] فقد أطفأ نورك لهبي**»[٤].

وفي المسند عن جابر عن النبي - ﷺ -: «**لا يبقى [مؤمن][٥] ولا فاجرٌ**

---

(١) البراطيل: جمع برطيل بكسر الباء وهو الرشوة، ويقال في المثل: البراطيل تنصر الأباطيل. كأنه مأخوذ من البرطيل الذي هو المعول، لأنه يستخرج به ما استتر. وفتح الباء عاميٌّ انظر المصباح المنير ص ٤٢.

(٢) البهرج: مثل جعفر. الرديء من الشيء. ودرهمٌ بَهْرَجٌ: رديء الفضة. وبُهْرِجَ الشيءُ بالبناء للمفعول أخذ به على غير الطريق. المصباح المنير ص ٦٤.

(٣) كذا وقع في مخطوطتنا وفي جميع النسخ المطبوعة [جُزْيا مؤمن].

(٤) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٦٣ رواه الطبراني وفيه سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف.
وضعفه الألباني في الضعيفة رقم (٣٤١٣).

(٥) كذا وقع في مخطوطتنا وفي جميع النسخ المطبوعة [بَرٌّ].

إلا دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم»[١].

هذا ميراث ورثه المحبون من حال الخليل عليه السلام.

نار المحبة في قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم.

قال الجنيد: قالت النـار: يارب لو لم أطعـك هل كنت تعـذبني بشيء[٢]؟ قال: نعم كنت أسلط عليك ناري الكبرى. قالت: وهل هناك نار أعظم مني وأشد؟ قال: نار محبتي أسكنتها أوليائي المؤمنين[٣].

قفـا قلـيلاً بهـا علـيَّ فـلا ... أقـلَّ مـن نظـرة أزودهـا[٤]

ففـي فـؤادِ المحـبِّ نـارُ جـوىً ... أحـرُّ نـارِ الجحيـم أبردُهـا

لـولا دمـوع المحبين تطفيء بعض ... حـرارة الوجـد لاحترقـوا كمـداً

دعـوه يطفـي بالدمـوع حـرارة ... علـى كبـدٍ حـرَّى دعُـوه دعُـوه!

سلـوا عاذليـه يعـذروه هنيهـةً ... فبالعـذلِ دون الشـوقِ قد قتلوه!

كان بعض العارفين، يقول: أليس عجباً أن أكون حيًّا بين أظهركم، وفي قلبي من الاشتياق إلى ربي مثل شُعَلِ النار[٥] التي لا تنطفيء؟!

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣٢٨، ٣٢٩.
وقال الهيثمي في المجمع ١٠/٣٦٣. قلت: لجابر حديث في الصحيح موقوف غير هذا، رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٢) كذا وقع في مخطوطتنا [هل كنت تعذبني بشيء؟] وفي جميع النسخ [بشيء أشد مني؟].

(٣) الله أعلم بصحة هذا الكلام.

(٤) كذا وقع في مخطوطتنا وفي بعض النسخ المطبوعة [أرددها].

(٥) كذا وقع في مخطوطتنا وفي بعض النسخ [الشعل].

ولـم أَرَ مِثْلَ نـارِ الحبِّ[1] نـاراً تزيـدُ ببُعْـدِ موقِدِهـا اتِّقَـاداً

ما للعارفين شغل بغير مولاهم، ولا همّ في غيره.

في الحديث: «**من أصبح وهمه غير الله فليس من الله**»[2].

قال بعضهم: من أخبرك أن وليه له هم في غيره فلا تصدقه.

وكان داود الطائي يقول في الليل: همك عطّل عليّ الهموم، وحالف بيني وبين السهاد، وشوقي إلى النظر إليك أوبق مني اللذات، وحال بيني وبين الشهوات، فأنا في سجنك أيها الكريم [مطلوب][3].

مالـي شُغْـلٌ سـواه مالـي شُغـلُ مايصرفُ عن هواه قلبي عذل[4]

ما أصنـعُ إن جَفَا وخَابَ الأملُ؟ مِنـي بَـدَلٌ ومنـه مالِـي بَـدَلُ

إخوانـي: إذا فهمتم هذا المعنى فهمتم معنى قوله ـ ﷺ ـ: «**من شهد أن**

---

(١) كذا وقع في مخطوطتنا وجميع النسخ المطبوعة ماعدا نسخة (ش) [المحبين].

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٢٠ بزيادة [ومن لم يهتم للمسلمين فليس منهم].
وقال الذهبي [إسحاق ومقاتل ليسا بثقتين ولا صادقين].
والخطيب البغدادي في تاريخه ٩/ ٣٧٣ بلفظ [وهمه الدنيا].
وعند الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٥١ بزيادة [ومن أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا] وقال: رواه الطبراني وفيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو متروك.

(٣) كذا وقع في مخطوطتنا وجميع النسخ المطبوعة ماعدا نسخة (ش) فسقطت كلمة [مطلوب].

(٤) كذا وقع في مخطوطتنا ونسخة (أ) و (ز) و (ط) وفي نسخة (ش) [مايصرف قلبي عن هـواه عذْل] وفي نسخة (س) [مايصرف عن هوى قلبي عذل] وكذلك نسخة (ع).

لا إله إلا الله صدقاً[١] من قلبه حرّمه الله على النار»[٢].

---

(١) كذا في مخطوطتنا وفي جميع النسخ المطبوعة [صادقاً].

(٢) عن معاذ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**مامن أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار**».
أخرجه البخاري في كتاب العلم/ باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ١/ ٤١.
وعند أحمد في المسند ٥/ ٢٢٩ بلفظ: «**من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه دخل الجنة**».

من صدق في قول لا إله إلا الله نجا من كربات يوم القيامة

فإما من دخل النار من أهل الكلمة، فلقلة صدقه في قولها، فإن هذه الكلمة إذا صدقت طهَّرت القلب من كل ماسوى الله، ومتى بقي في القلب أثر لِسِوَىٰ[1] الله، فمن قلة الصدق[2] في قولها.

من صَدَق في قوله: لا إله إلا الله، لم يحبّ سواه، ولم يرج إلا إياه، ولم يخش أحداً إلا الله، ولم يتوكل إلا على الله، ولم يبق له بقية من آثار نفسه وهواه[3].

ومع هذا فلا تظنوا أن المراد أن المحب مطالب بالعصمة، وإنما هو مطالب كلما زَلَّ أن يتلافى تلك الوصمة.

قال زيد بن أسلم: إن الله ليحبُّ العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول: اذهب فاعمل ماشئت فقد غفرت لك[4].

---

(١) كذا وقع في مخطوطتنا وفي بعض النسخ [لما سوى] وفي بعضها الآخر [سوى].

(٢) كذا وقع في مخطوطتنا وكل النسخ المطبوعة ماعدا نسخة (ش) [صدقه].

(٣) فإن مدار النجاة في الدنيا والآخرة على الصدق، كما بين رسول الله ـ ﷺ ـ للذي جاءه يسألـه عن أركان الإسلام وفرائضه. فقال للرسول: لا أزيد على ذلك ولا أنقص. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**أفلح إن صدق**» والحديث في البخاري في كتاب الإيمان/ باب الزكاة من الإسلام ١/١٧.

(٤) كما قيل لأهل بدر لما نالوا محبة الله ـ عزّ وجل ـ ولا يفهم من ذلك إباحة فعل الكفر والشرك في حقهم، لأن الله لا يغفر أن يشرك به [فاعمل ماشئت] محمول على مادون الكفر والشرك، وأن الله ـ عزّ وجل ـ يعصمهم من الوقوع في ذلك.

وقال الشعبي : إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنبه(١) .

وتفسير هذا الكلام أن الله عزَّ وجلّ له عناية بمن يحبه، من عباده، فكلما زلق ذلك العبد في هوة الهوى أخذ بيده إلى نجوة النجاة، ييسر له أسباب التوبة، وينبهه على قبح الزلة، فيفزع إلى الاعتذار، ويبتليه بمصائب مكفّرة لما جنى .

وفي بعض الآثار: يقول الله : أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أويسهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعائب(٢) .

وفي صحيح مسلم عن جابر عن النبي - ﷺ - قال : «**الحمى تذهب**

---

(١) وهذا صحيح لأن الله - عزّ وجل - إذا أحب العبد وفقه لكثير من الطاعات، وأعانه على فعل الخيرات، فإذا زل في معصية وفقه الله أيضاً للتوبة النصوح، وذل لله وانكسر، وخضع لله مايجعله في حال أفضل مما كان عليه قبل المعصية .
قال العلامة ابن القيم في كتابه الوابل الصيب ص ٢٠ :
[فإذا أراد الله بعبده خيراً فتح له من أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به وصدق اللجأ إليه ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ماتكون تلك السيئة به سبب رحمته حتى يقول عدو الله : ياليتني تركته ولم أوقعه. وهذا معنى قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار. قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفاً منه مشفقاً وجلاً باكياً نادماً مستحياً من ربه تعالى، ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له. فيكون ذلك الذنب سبب سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة] اهـ.

(٢) لم أقف عليه .

الخطايا كما يذهب الكير الخبث»(١) .

وفي المسند و صحيح ابن حبان عن عبدالله بن مغفّل أن رجلاً لقي امرأة كانت بَغِيًّا في الجاهلية، فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها، فقالت: مه فإن الله أذهب الشرك وجاء بالإسلام، فتركها وولَّى، فجعل يلتفت خلفه وينظر إليها حتى أصاب وجهه حائطاً، فأتى النبيَّ - ﷺ - والدم يسيل على وجهه، فأخبره بالأمر فقال - ﷺ -: «**أنت عبد أراد الله بك خيراً**». ثم قال: «**إن الله إذا أراد بعبدٍ خيراً عجَّل عقوبته في الدنيا، وإذا أراد بعبد شرًّا أمسك ذنبه حتى يوافي يوم القيامة**»(٢) .

ياقوم! قلوبكم على أصل الطهارة، وإنما أصابها رشاش من نجاسة الذنوب، فرشوا عليها قليلاً من دمع العيون، وقد طهرت.

اعزموا على فِطام النفوس عن رضاع الهوى، فالحِمْيَةُ رأس الدواء(٣) .

متى طالبْتكم بمألوفاتها، فقولوا لها، كما قالت تلك المرأة لذلك الرجل، الذي دمي وجهه: قد أذهب الله بالشرك وجاء بالإسلام، والإسلام يقتضي الاستسلام والانقياد للطاعة.

ذكِّروها مدحةَ ﴿**إنَّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**﴾. [فصلت: ٣٠] لعلها تَحِنُّ إلى الاستقامة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب / باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن رقم (٤٥٧٥) (٥٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٨٧ وابن حبان رقم (٢٤٥٥) موارد والحاكم في المستدرك ١/ ٣٤٩ و٤/ ٣٧٦، ٣٧٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأبويعلى في مسنده بدون ذكر القصة رقم (٤٢٥٢).

(٣) الحمية: الإقلال من الطعام. والإقلال من الذنوب ومن كل مايضر فهو أساس الدواء ورأسه.

عرِّفوها اطلاع من هو أقرب إليها من حبل الوريد، لعلها تستحي من قربه ونظره: ﴿**ألم يعلم بأن الله يرى**﴾. [العلق: ١٤] ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾. [الفجر: ١٤].

راود رجل امرأة في فلاة ليلاً فأبت، فقال لها: مايرانا إلا الكواكب، قالت: فأين مُكَوْكِبُها؟!

أكره رجلٌ امرأةً على نفسها، وأمرها بغلق الأبواب، ففعلت، فقال لها: هل بقي باب لم تغلقيه؟ قالت: نعم، الباب الذي بيننا وبين الله، فلم يتعرض لها.

رأى بعض العارفين رجلاً يكلم امرأة، فقال: إن الله يراكما، سترنا الله وإياكما!.

سُئِلَ الجنيد: بم يستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبقُ من نظرك إلى ماتنظر.

وقال المحاسبي: المراقبة: علم القلب بقرب الرب.

كلما قويت المعرفة بالله قوي الحياء [من قربه ونظره](١).

وصّى النبيُّ ـ ﷺ ـ رجلاً أن يستحي من الله كما يستحي من رجل صالح من عشيرته لا يفارقه(٢).

---

(١) كذا في مخطوطتنا وبعض النسخ وسقط من نسخة (س) و (ع).

(٢) عن سعيد بن زيد أنه سمع أبا الجذ يقول: إن رجلاً قال لرسول الله ـ ﷺ ـ: أوصني: قال: «**أوصيك أن تستحي الله ـ عزّ وجل ـ كما تستحي رجلاً صالحاً من قومك**». أخرجه أحمد في كتاب الزهد ص **٥٩**.

قال الهيثمي في المجمع ١٠/٢٨٧ رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم.

قال بعضهم : استحِ من الله على قدر قربه منك ، وخِفِ الله على قدر قدرته عليك .

كان بعضهم يقول منذ أربعين سنة ماخطوت خطوة لغير الله ، ولا نظرت إلى شيء أستحسنه حياءً من الله - عزّ وجل - :

كـأنَّ رقيباً منك يرعـىٰ خواطـري وآخـر يرعـى ناظِـري ولسانـي

فمـا أبصرتْ عيناي بعـدك منظراً لغيـرك إلا قلـتُ قـد رَمَقَانـي

ولا بـدرتْ من فِـيَّ بعـدك لفظـةٌ لغيرك إلا قلـتُ: قـد سمعانـي

ولا خطرتْ من ذكـر غيـرك خطرةٌ علـى القلـب إلَّا عرَّجـا بعنانـي

فضائـل كلمـة التوحيـد

وكلمـة التـوحيد لها فضـائـل عظيمة لا يمكن هاهنا استقصاؤها؛ فلنذكر بعض ماورد فيها.

فهي كلمة التقوى، كما قاله عمر وغيره من الصحابة.

وهي: كلمة الإخلاص، وشهادة الحق، ودعوة الحق، وبراءة من الشرك، ونجاة هذا الأمر[1]، ولأجلها خُلق الخلق.

---

(١) قال الإمام العلامة ابن القيم في كتابه طريق الهجرتين ص ٢٩٦، ٢٩٧.

[فحقيق لمن نصـح نفسه، وأحب سعادتها ونجاتها، أن يتيقظ لهذه المسألة، علماً وعمـلاً وحالاً. وتكون أهم الأشياء عنده، وأجل علومه وأعماله. فإن الشأن كله فيهـا. والمـدار عليهـا. والسؤال يوم القيامـة عنها قال تعالى: ﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين* عما كانوا يعملون**﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣] قال غير واحد من السلف: هو عن قول «لا إله إلا الله»

وهذا حق، فإن السؤال كله عنها وعن أحكامها وحقوقها وواجباتها ولوازمها.

فلا يسأل أحد قط إلا عنها وعن واجباتها ولوازمها وحقوقها.

قال أبو العالية: كلمتان يسأل عنها الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المـرسلين؟ فالسؤال عماذا كانوا يعبدون، هو السؤال عنها نفسها. والسؤال عماذا أجابوا المرسلين، سؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إليها: هل سلكوها وأجابوا الرسل لما دعوهم إليها، فعاد السؤال كله إليها. وأمر هذا شأنه حقيق بأن تنعقد عليه الخناصر ويعض عليه بالنواجذ ويقبض فيه على الجمر، ولا يؤخذ بأطراف الأنامل.. ولا يطلب على فضلة. بل يجعـل هو المـطلب الأعـظم، وماسواه إنما يطلب على الفضلة.. والله الموفق، لا إله غيره، ولا رب سواه] ا.هـ.

كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾. [الذاريات: ٥٦].

ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب(١)، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نُوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾. [الأنبياء: ٢٥]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿**يُنزِّلُ الملائكةَ بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون**﴾. [النحل: ٢].

وهذه الآية أول ماعدَّد [على عباده](٢) من النعم في سورة النعم التي تسمى سورة النحل، ولهذا قال ابن عيينة: ما أنعم الله [على العباد](٣) نعمة أعظم من أن عرَّفهم لا إله إلا الله، وإن لا إله إلا الله لأهل الجنة

---

(١) قال العلامة صديق حسن خان في كتابه الدين الخالص ١/١٨٧:
[لا إله إلا الله هي العروة الوثقى وكلمة الله العليا، وهي الحنيفية السمحة السهلة البيضاء، وهي ملة أبينا إبراهيم ـ عليه السلام ـ سيد الموحدين وإمام المتقين، وخليل رب العالمين، وهي التي جعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين، وهي التي لأجلها والتأهل بها خلقت المخلوقات، وبها قامت الأرضون السبع والسماوات وبها نطقت الموجودات، ولأجلها أنزلت الكتب وأرسلت الرسل. قال تعالى: ﴿**وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**﴾. وقال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾.
والمراد اعتقاد معنى هذه الكلمة الإلهية والجملة القدوسية بالقلب السليم عن الشرك السقيم. وأما التلفظ بها باللسان مع الجهل بمرادها والعمل بمقتضاها، فليس من إخلاص التوحيد في صدر ولا ورد. ولا ينفع ذلك نفعا ولا يغني من عذاب الله شيئاً، ولا يكشف ضرًّا] انتهى.

(٢) سقطت من بعض النسخ.

(٣) في بعض النسخ [على عبد من العباد].

كالماء البارد لأهل الدنيا، ولأجلها أُعدت دارُ الثواب ودار العقاب، [في الآخرة](١).

[فمن قالها ومات عليها كان من أهل دار الثواب، ومن ردها كان من أهل العقاب](٢).

ومن أجلها أُمرت الرسل بالجهاد، فمن قالها عصم ماله ودمه، ومن أباها فماله ودمه [هدر](٣).

وهي مفتاح دعوة الرسل، وبها كلم الله موسى كِفَاحاً.

وفي مسند البزار وغيره عن عياض الأنصاري عن النبي - ﷺ - قال: «**إنَّ لا إله إلا الله كلمة [حقٍّ](٤) على الله كريمةٌ، ولها من الله مكان، وهي كلمة [جُمِعَتْ وشُرِكَتْ](٥) فمن قالها صادقاً أدخله الله الجنة، ومن قالها كاذباً: أَحرزت ماله، وحقنت دمه، ولقي الله فحاسبه**»(٦) **وهي مفتاح الجنة(٧) كما تقدم.**

وهي: ثمن الجنة(٨): قاله الحسن. وجاء مرفوعاً من وجوهٍ ضعيفة:

---

(١) سقطت من جميع النسخ.

(٢) كذا وقع في مخطوطتنا ونسخة (ش) وسقط من باقي النسخ.

(٣) في نسخة (س)، (ع) [حلال].

(٤) سقطت من نسخة (س)، (ع).

(٥) كذا وقع في مخطوطتنا ونسخة (ش) وسقطت من باقي النسخ.

(٦) قال الهيثمي في المجمع ١/٣١ رواه البزار ورجاله موثقون إن كان تابعيه عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود.

(٧) تقدم ص ٤١

(٨) قال الشيخ أسامة عبدالعظيم في حاشيته رسالة كلمة الإخلاص ص ٤٥.
وإنما تكون ثمن الجنة عند الوفاء بحقها والالتزام بحقوقها والارتباط بحدودها والقيام بواجباتها لا بمجرد النطق بها فحسب.

«**من كانت آخر كلامه دخل الجنة**»[١] .

وهي : نجاة من النار .

وسمع النبيُّ - ﷺ - مؤذناً يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال : «**خرج من النار**» خرجه مسلم[٢] .

وهي : توجب المغفرة :

في المسند عن شدَّاد بن أوس وعبادة بن الصامت أن النبي - ﷺ - قال لأصحابه يوماً : «**ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله**» فرفعنا أيدينا ساعة ، ثم وضع رسول الله - ﷺ - يده ، ثم قال : «**الحمد لله! اللهم بعثتني بهذه**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥/٢٣٣ ، ٢٤٧ بلفظ «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة**» . وأبوداود بلفظ [دخل الجنة] في كتاب الجنائز/ باب في التلقين رقم (٣١١٦) والحاكم في مستدركه ١/٣٥١ ، ٥٠٠ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله - ﷺ - يغير إذا طلع الفجر . وكان يستمع الأذان . فإن سمع أذاناً أمسك وإلا أغار . فسمع رجلاً يقول : **الله أكبر . الله أكبر** . فقال رسول الله - ﷺ - : «**على الفطرة**» ثم قال ، **أشهد أن لا إله إلا الله . أشهد أن لا إله إلا الله** . فقال رسول الله - ﷺ - : «**خرجت من النار**» فنظروا فإذا هو راعي مِعْزىً . أخرجه مسلم في كتاب الصلاة/ باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان رقم (٣٨٢) .

قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ :

[فقول رسول الله - ﷺ - لمن قال : الله أكبر . «**على الفطرة**» . أفاد فائدة . وهي : أن هذا القول ومايدل عليه من توحيد الربوبية ، هو في الفطر مستقر ، ولذا لم يحكم بنجاته من النار وإسلامه إلا بقوله : أشهد أن لا إله إلا الله . شهادة متضمنة نفي كل معبود سوى الله . وهو توحيد الألوهية . ودلالة هذا ظاهرة] من كتاب هذه مفاهيمنا ص ١١٣ .

الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني الجنة عليها، وأنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: «أبشروا فإن الله قد غفر لكم»(١).

وهي: أحسن الحسنات:

قال أبوذر: قلت: يارسول الله! علمني عملاً يقربني من الجنة، ويباعدني من النار، قال: «**إذا عملت سيئة فاعمل حسنة، فإنها عشر أمثالها**» قلت: يارسول الله، لا إله إلا الله من الحسنات؟ قال: «**هي أحسن الحسنات**»(٢).

---

(١) عن يعلى بن شداد قال: حدثني أبي شداد بن أوس وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال: كنا عند النبي ـ ﷺ ـ فقال: «**هل فيكم غريب**» يعني أهل الكتاب. فقلنا: لا يارسول الله. فأمر بغلق الباب وقال: «**ارفعوا أيديكم**» وذكر الحديث.
أخرجه أحمد في مسنده ٤/١٢٤.
والحاكم في المستدرك ١/٥٠١ وقال: حال إسماعيل بن عياش يقرب من الحديث قبل هذا. فإنه أحد أئمة أهل الشام. وقد نسب إلى سوء الحفظ، وأنا على شرطي في أمثاله. وقال الذهبي في التلخيص: راشد ضعفه الدارقطني وغيره ووثقه دحيم.
وقال الهيثمي في المجمع ١/٢٤ رواه أحمد والطبراني والبزار ورجاله موثقون.
وقال أيضاً في ١٠/٨٤ رواه أحمد وفيه راشد بن داود وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف وبقيه رجاله ثقات.
وقال الألباني في حاشية كتاب كلمة الإخلاص ص ٥٥: وفي سنده ضعف وحسنه المنذري.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/١٦٩ وهناد السري في كتاب الزهد رقم (١٠٧١) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٨٤ رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن شمر بن عطية حدّث به عن أشياخه عن أبي ذر، ولم يسم أحداً منهم.
وحسنه الألباني.

وهي: تمحو الذنوب والخطايا:

وفي سنن ابن ماجه عن أم هانىء عن النبي - ﷺ - قال: «**لا إله إلا الله لا تترك ذنباً، ولا يسبقها عملٌ**»[١].

رؤي بعض السلف بعـد موته في المنام، فسئل عن حاله، فقال: ماأبقت لا إله إلا الله شيئاً.

وهي: تجدد مادُرِسَ من الإيمان في القلب:

وفي المسند أن النبي - ﷺ - قال لأصحابه: «**جِّددوا إيمانكم**» قالوا: كيف نجدد إيماننا؟ قال: «**قولوا: لا إله إلا الله**»[٢].

وهي التي لا يعدلها شيء في الوزن، فلو وزنت بالسموات والأرض رجحت بهن.

كما في المسند عن عبدالله بن عمرو عن النبي - ﷺ -: «**أن نوحاً قال لابنه عند موته: آمُرُك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع والأرضين السبع كن في حلقةٍ مبهمةٍ قَصَمَتْهُنَّ[٣] لا إله إلا الله**»[٤].

---

(١) أخـرجه ابن ماجه في كتاب الأدب/ باب فضل لا إله إلا الله رقم (٣٧٩٧) وفي الـزوائـد: فـي إسـنـاده زكـريا بن منـظور وهـو ضعيـف. أفـاده محمـد فؤاد عبـدالباقـي رحمـه الله.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٥٩ والحاكم ٤/ ٢٥٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الحافظ الذهبي في التلخيص بقوله: صدقة ضعفوه. وقال الحافظ الهيثمي في المجمع ١٠/ ٨٥ رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات.

(٣) كذا وقع في مخطوطتنا ونسخة (ش) وفي باقي النسخ [فَصَمَتهنَ].

(٤) كذا وقع في مخطوطتنا مختصرا.

والحـديث أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٧٠، ٢٢٥ وفي الزهد ص ٦٧ والحاكم في المستدرك ١/ ٤٩ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجا للصقعب بن زهير فإنه =

وفيه أيضـاً عن عبدالله بن عمرو[1] عن النبي ـ ﷺ ـ: «**أن موسى عليه السلام قال: يارب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به، قال: ياموسى! قل: لا إله إلا الله، قال: يارب! كل عبادك يقولون هذا. قال: قل: لا إلـه إلا الله. فقـال: لا إلـه إلا أنت، إنما أُريد شيئاً تخصني به. قال: يامـوسـى! لو أن السمـوات السبـع وعامرهن غيـري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفةٍ، مالت بهن لا إله إلا الله**»[2].

ولـذلـك ترجـح بصحـائف الـذنـوب، كما في حديث السجـلات والبطاقة، وقد خرَّجه أحمد والنسائي والترمذي أيضاً من حديث عبدالله ابن عمرو عن النبي ـ ﷺ ـ[3].

= ثقة قليل الحديث. وقال الذهبي: صحيح الإسناد والصقعب ثقة ورواه ابن عجلان عن زيد بن أسلم مرسلاً.

وقال الهيثمي في المجمع ١٠ / ٨٧ رواه البزار وفيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس، وهو ثقة. وبقية رجاله رجال الصحيح.

(١) كذا وقع في مخطوطتنا عزو الحديث إلى المسند وإلى عبدالله بن عمرو. قال الألباني حفظه الله [يعني المسند وعزوه إليه خطأ كما أن عزوه إلى حديث عبدالله بن عمرو خطأ وإنما هو من حديث أبي سعيد الخدري] ا. هـ.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم (١٣٩٣) وابن حبان رقم (٢٣٢٤) كما في موارد الظمآن والحاكم في المستدرك ١ / ٥٢٨، ٥٢٩ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ٨٥ رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا وفيهم ضعف.

(٣) عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**إن الله سَيُخلِّصُ رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقـول: لا يارب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب. فيقول: بلى إن لك**

وهي التي تخرق الحجب كلها حتى تصل إلى الله ـ عزّ وجل ـ.

= **عندنا حسنة. فإنه لا ظلم عليك اليوم. فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقول: احضر وزنك. فيقول: يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء»**.

هذا الحديث العظيم الجليل أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/٢١٣ والترمذي في كتاب الإيمان باب ماجاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله رقم (٢٦٣٩) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

وابن ماجه في كتاب الزهد/ باب مايرجى من رحمة الله يوم القيامة رقم (٤٣٠٠) والحاكم في المستدرك ١/٦، ٥٢٩ وقال: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

ظن البعض وفهم من هذا الحديث أن مجرد القول فقط يكفي للنجاة من النار والفوز بالجنان، وقالوا: إن هذا الرجل لم يلق الله إلا بكلمة التوحيد. وهذا ثمرة فهم النصوص مقطعة مجزأة، كل نصٍّ على حدة، وضربوا كلام الله وكلام رسوله بعضه بعضا، وخالفوا ماعليه سلف هذه الأمة في مسألة الإيمان من أنها قول وعمل. وماذا يقال في المنافقين الذين كرهوا ماأنزل الله وهو يقولون لا إله إلا الله؟ وماذا يقال فيمن يسبون الله ورسوله ويحاربون الله ورسوله والمؤمنين ليل نهار، وهم يقولون لا إله إلا الله؟ وماذا يقال في قول أهل السنة: إن الإيمان قول وعمل؟

[قال الحميدي: سمعت وكيعاً يقول: أهل السنة يقولون: الإيمان قول وعمل. والمرجئة يقولون: الإيمان قول. والجهمية يقولون: الإيمان المعرفة. وفي رواية أخرى عنه. وهذا كفر] الإيمان لابن تيمية ص ٢٦٤.

وقال سهل بن عبدالله التستري عن الإيمان.

[قول وعمل ونية وسنة. لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق. وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة] ابن تيمية كتاب الإيمان ص١٤٧. =

وفي الترمذي عن عبدالله بن عمرو عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لا إله إلا

= قال الحافظ في الفتح:

[وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة وروي بسنده الصحيح عن البخاري قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء من الأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص. وأطنب ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين، وكل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين. وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة والجماعة. وقال الحاكم في مناقب الشافعي: حدثنا أبوالعباس الأصم، أنا الربيع؛ قال: سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص. وأخرجه أبونعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية] انتهى من فتح الباري ١ / ٤٠.

وقال أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم: [سألت أبي وأبا زرعة ـ رضي الله عنهما ـ عن مذاهب أهل السنة. ومأدركا عليه العلماء في جميع الأمصار. ومايعتقدان في ذلك؟ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازاً وعراقاً ومصراً وشاماً ويمناً. فكان من مذهبهم: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص].

عقيدة أبي حاتم الرازي وأبي زرعة الرازي ص ٣٧، ٣٨

وقال أبوزرعة ـ رحمه الله تعالى ـ:

[الإيمان عندنا قول وعمل. يزيد وينقص. ومن قال غير ذلك فهو مبتدع مرجيء]

المصدر السابق ص ١٥٠.

فوجب فهم هذا النص وغيره ضمن أطر الشريعة حتى تأخذ النصوص بحجز بعضها البعض، فلا تتمزق الشريعة أشلاء متناثرة، كل يأخذ بحظه وماتهواه نفسه، ويكون فينا نصيب من قوله تعالى: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾.

الله ليس لها دون الله حجاب، حتى تصل إليه» [١].

وفيه أيضاً عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ -: **«ماقال عبدٌ: لا إله إلا الله مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تُفضي إلى العرش مااجتُنِبَتْ الكبائرُ»** [٢].

ويُروى عن ابن عباس مرفوعاً: **«مامن شيء إلا بينه وبين الله حجابٌ، إلا قول: لا إله إلا الله، كما أن شفتيك لا تحجبها** [٣] **كذلك، لا يحجبها شيءٌ، حتى تنتهي إلى الله - عزّ وجلّ -»** [٤].

وقال أبو أمامة: مامن عبد يهلل تهليلة فينهنهها شيء دون العرش.

وهي التي ينظر الله إلى قائلها، ويجيب دعاه.

خرَّج النسائي في كتاب «اليوم والليلة» من حديث رجلين من الصحابة عن النبي - ﷺ -: **«من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، مخلصاً بها روحه، مصدقاً بها قلبه ولسانه، إلاَّ فَتَقَ الله له السماء، حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحُقَّ لعبدٍ نظر الله إليه أن يعطيه سؤله»** [٥].

وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات رقم (٣٥١٨) وضعفه بقوله: هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات/ باب دعاء أم سلمة رقم (٣٥٩٠) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) كذا وقع في مخطوطتنا وجميع النسخ المطبوعة ماعدا نسخة (ط) فوقع فيها [تحجبهما] ولعله تصحيف.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٢٨).

كما خرجه النسائي والترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي - ﷺ - قال: «**إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر، صدَّقه ربُّه، وقال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال: لا إله إلا الله وحده. يقول الله: لا إله إلا أنا وحدي**[1] **وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال الله: لا إله إلَّا أنا وحدي لا شريك لي. وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد، قال الله: لا إله إلا أنا، لي الملك، ولي الحمد. وإذا قال: لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله: لا إله إلا أنا، ولا حول ولا قوة إلا بي**». وكان يقول: «**من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار**»[2].

وهي أفضل ماقاله النبيون، كما ورد ذلك في دعاء يوم عرفة[3].

وهي أفضل الذكر.

---

(١) كذا وقع في مخطوطتنا وسقط من جميع النسخ المطبوعة.

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٣٠) و (٣١).
والحاكم في المستدرك ١/٥ وقال: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين وقال الذهبي في التلخيص: أوقفه شعبة وغيره.
وابن حبان رقم (٢٣٢٥) موارد وأبويعلى بلفظ قريب منه رقم (٦١٥٣) و (٦١٥٤) و (٦١٦٣). وابن ماجه في كتاب الأدب/ باب فضل لا إله إلا الله رقم (٣٧٩٤) والترمذي في كتاب الدعوات/ باب مايقول العبد إذا مرض رقم (٣٤٣٠) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الحج / باب جامع الحج رقم (٢٤٦) قال ابن عبدالبر: لا خلاف عن مالك في إرساله. أفاده محمد فؤاد عبدالباقي - رحمه الله - والترمذي في كتاب الدعوات/ باب في دعاء يوم عرفة رقم (٣٥٨٥) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.
والحديث حسن بالشواهد.

كما في حديث جابر المرفوع: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله**»[١].

وعن ابن عباس قال: أحبُ كلمة إلى الله تعالى لا يقبل الله عملاً إلا بها[٢].

وهي أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفاً، وتعدل عتق الرقاب، وتكون حرزاً من الشيطان.

كما في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ -: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، وَمُحي عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يُمْسِيَ، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك**»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات/ باب ماجاء أن دعوة المسلم مستجابة رقم (٣٣٨٣) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم.
وابن ماجه في كتاب الأدب/ باب فضل الحامدين رقم (٣٨٠٠) وابن حبان كما في الموارد رقم (٢٣٢٦)
والحاكم في المستدرك ١/٤٩٨، ٥٠٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) كذا وقع في مخطوطتنا وفي باقي النسخ [أحب كلمة إلى الله تعالى لا إله إلا الله . . .].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق/ باب صفة إبليس ٤/٩٥ وفي كتاب الدعوات/ باب فضل التهليل ٧/١٦٧.
ومسلم في كتاب الذكر/ باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء رقم (٢٦٩١)
والترمذي في كتاب الدعوات رقم (٣٤٦٨)
وأحمد في المسند ٢/٣٠٢، ٣٧٥.

وفيهما أيضاً عن أبي أيوب، عن النبي - ﷺ -: **«من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنْفُسٍ من ولد إسماعيل»**[١].

وفي الترمذي عن ابن عمر مرفوعاً: **«من قالها إذا دخل السوق، وزاد فيها: يحيي ويميت كُتِبَ له ألف ألف حسنةٍ، ومُحِيَ عنه ألف ألف سيئةٍ، ورفع له ألف ألف درجةٍ»**[٢].

وفي رواية: **«وبني له بيت في الجنة»**.

ومن فضائلها أنها أمان من وحشة القبر وهول الحشر:

كما في المسند وغيره، عن النبي - ﷺ - قال: **«ليس على أهل لا إله إلا الله وحشةٌ في قبورهم ولا في نشورهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله قد قاموا يَنْفُضُون التراب عن رءوسهم، ويقولون: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾**. [فاطر: ٣٤][٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات/ باب فضل التهليل ١٦٧/٧ ومسلم في كتاب الذكر/ باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء رقم (٢٦٩٣.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات/ باب مايقول إذا دخل السوق رقم (٣٤٢٨) وقال: هذا حديث غريب.
وابن ماجه في كتاب التجارات/ باب الأسواق ودخولها رقم (٢٢٣٥) وأحمد في مسنده ١/ ٤٧. والحديث بهذا اللفظ مختصر.
والحاكم في المستدرك ١/ ٥٣٨، ٥٣٩ من عدة طرق.

(٣) قال الألباني حفظه الله: هذا وهم فليس هو في مسند أحمد، وإنما رواه ابن أبي الدنيا وابن عدي وغيرهما بإسناد واهٍ جدًّا واستنكره المنذري ثم خرجته في الضعيفة (٣٨٥٣) انتهى.
والحديث أخرجه البيهقي في الشعب رقم (٩٩) وقال: وروى من وجه آخر ضعيف عن ابن عمر.

=

وفي حديث مرسل: من قال: لا إله إلا الله الملك الحق المبين كل يوم مائة مرة كانت له أماناً من الفقر، وأنساً من وحشة القبر، واستجلب به الغنى، واستقرع به باب الجنة».

وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من القبور:

قال النضر بن عربي: بلغني أن الناس إذا قاموا من قبورهم كان شعارهم: لا إله إلا الله.

وقد خرَّج الطبراني حديثاً مرفوعاً: «**إنَّ شعار هذه الأمة على الصراط لا إله إلا أنت**»[1].

ومن فضائلها أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية:

يدخل من أيها شاء. كما في حديث عمر عن النبي - ﷺ - فيمن أتى بالشهادتين بعد الوضوء، خرجه مسلم[2].

وفي الصحيحين عن عبادة عن النبي - ﷺ - قال: «**من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حقٌ وأن النار حقٌ وأن الله يبعث من في القبور فتحت له ثمانية أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء**»[3].

= قال الهيثمي في المجمع ١٠/٨٦ رواه الطبراني في الأوسط. وفي رواية «**ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا عند القبر**» وفي الرواية الأولى يحيى الحماني وفي الأخرى مجاشع بن عمر وكلاهما ضعيف وقال الهيثمي في المجمع ١٠/٣٣٦ رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم.

(١) قال الهيثمي في المجمع ١٠/٣٦٢ رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه من وثق على ضعفه وعبدوس بن محمد لم أعرفه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة/ باب الذكر المستحب عقب الوضوء رقم (٢٣٤).

(٣) تقدم تخريج الحديث ص ٣٦ وفيه اختلاف في الألفاظ عما في النسخ الأخرى.

وفي حديث عبدالرحمن بن سمرة عن النبي - ﷺ - في قصة منامه الطويل، وفيه قال: «ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة، فأُغْلِقَتِ الأبوابُ دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، ففتحت له الأبواب، وأدخلته الجنة»(١).

ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لابد أن يخرجوا منها:

وفي الصحيحين عن أنس عن النبي - ﷺ - قال: «**قال الله - عزّ وجل -: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي، لأُخرجن منها من قال لا إله إلا الله**»(٢).

وخرّج الطبراني عن أنس عن النبي - ﷺ - قال: «**إن أناساً من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم، فيقول لهم أهل اللات والعزى. ماأغنى عنكم قول لا إله إلا الله، فيغضب الله لهم فيخرجهم من النار، فيدخلون الجنة**»(٣).

---

(١) قال الهيثمي في المجمع ١٨٣/٧ رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي وفي الآخر خالد بن عبدالرحمن المخزومي وكلاهما ضعيف.

(٢) تقدم ص.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٣ رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفهم. ولكن للحديث شواهد يتقوى بها ويصير بها صحيحا فقد ذكر الهيثمي قبل ذلك ص ٣٨٢ حديثاً عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله - ﷺ -: «**إن إناساً من أمتي يعذبون بذنوبهم فيكونون في النار ماشاء الله أن يكونوا، ثم يعيرهم أهل الشرك. فيقولون: مانرى ماكنتم فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم، فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله. ثم قرأ رسول الله - ﷺ -: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾**» قلت: [القائل الحافظ الهيثمي] - لجابر أحاديث في الصحيح بغير هذا السياق - رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله الصحيح، غير بسام الصيرفي وهو ثقة.

ومن كان في سُخطه محسناً فكيف يكون إذا ما رضي، لا يستوي بين من وحَّده وإن قصر في حقوق توحيده وبين من أشرك به.

قال بعض السلف: كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ يقول: اللهم لا تشرك من كان يشرك بك بمن كان لا يشرك بك.

كان بعض السلف يقول في دعائه: اللهم إنك قلت عن أهل النار: إنهم: ﴿**أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت**﴾. [النحل: ٣٨]. ونحن نقسم بالله جهد أيماننا: ليبعثن الله من يموت، اللهم لا تجمع بين أهل القسمين في دار واحدة.

كان أبو سليمان يقول: إن طالبني ببخلي طالبته بجوده. وإن طالبني بذنوبي طالبته بعفوه، وإن أدخلني النار أخبرت أهل النار أني كنت أُحبه.

ماأطيب وصله وما أعذبه ... وما أثقل هجره وما أصعبه
في السخط وفي الرضى ماأهيبه! ... القلب يُحبُّه وإن عذَّبه!

وكان بعض العارفين يبكي طول ليله، ويقول: إن تعذبني فإني لك محب، وإن ترحمني فإني لك محب! العارفون يخافون من الحجاب أكثر مما يخافون من العذاب.

قال ذو النون: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لُجْيٍّ.

كان بعضهم يقول: إلهي وسيدي ومولاي! لو عذبتني بعذابك كله كان مافاتني من قربك أعظم عندي من العذاب.

قيل لبعضهم: لو طردك ماكنت تفعل؟ فقال:

أنا إن لم أجد من الحبِّ وَصْلا ... رُمْتُ في النار مَنْزلاً ومَقِيلا
ثم أزعجتُ أهلها بندائي ... بُكرةً في عَرَصَاتِها وأصِيلا
معشرَ المشركين نُوحوا على من ... يدَّعي أنه يُحبُّ الجليلا
لم يكن في الذي ادّعاه محقًّا ... فجزاه به العذابَ الطَّوِيلا!

الله الله! أيها الناس تمسكوا بأصل دينكم

اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيد، فإنه لا يوصل إلى الله سواه، واحرصوا على القيام بحقوقه، فإنه لا ينجي من عذاب الله إلا إياه[(١)].

مانطقَ الناطقون إذ نطقوا — أحسن من لا إله إلَّا هو
تبارك ذو الجلال ومن — أشهد أن لا إله إلَّا هو
من لِذُنُوبي ومن يُمَحّصَها — غيرك يا من لا إله إلا هو
جنانُ خُلْدٍ لمن يُوَحِّدُهُ — أشهدُ أن لا إله إلا هو
نيرانُه لا تُحرقُ من — [حقق][(٢)] أنْ لا إله إلا هو
أقولُها مُخلصاً بلا بخل — أشهد أن لا إله إلا هو

آخره والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً. وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) قال العلامة صديق حسن خان ـ رحمه الله ـ في كتابه الدين الخالص ١/١٨٥:
[فالله الله ياأيها الناس! تمسكوا بأصل دينكم الذي ارتضاه الله ـ تعالى ـ لكم، ودعا إليه نبيكم، وقاتل المشركين عليه، وندبنا إليه، وجاهد فيه لله حق جهاده.
وأساس هذا الدين ورأسه ونبراسه شهادة أن لا إله إلا الله (أي لا معبود) إلا الله.
واعرفوا معناها، واستقيموا عليها، وادعوا الناس تبعاً لرسول الله ـ ﷺ ـ واجعلوها كلمة باقية في عقبه في أبناء زمانكم، إتماماً للحجة وإيضاحاً للمحجة وكونوا من أهلها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم في الدين، ولو كانوا بعيدين. واكفروا بالطواغيت، وعادوهم وأبغضوهم، وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم، ولم يكفرهم، أو قال: ماعليَّ منهم. أو قال: ماكلفك الله بهم. فقد كذب هذا على الله وافترى فقد كلفه الله بهم. وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم.
فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم وأنتم لا تشركون به شيئاً].

(٢) كذا وقع هنا في مخطوطتنا وفي باقي النسخ [يشهد].

الفهـــرس